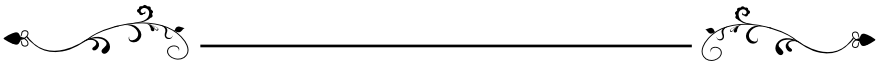

عَبِيرُ المِداد

اسم الكتاب: عبير المداد
اسم الكاتب: عصام علي
تدقيق لغوي: د. محمد النجار
تصميم الغلاف: مصطفى الدناصوري
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – 2020 م
رقم الإيداع: 2021 / 3904
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6852 – 39 – 6

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

عَبيـــرُ المِـــداد

عصـــام علـــي

"مجموعة "عبير المداد" لـ" عصام علي": النص بوصفه سردًا مفتوحًا على التأويل اللانهائي، وعلى عتبات الآتي والمتخفي"

بداية قرأت مجموعة "عبير المداد" للكاتب الشاب "عصام علي"، ووجدتها تحتوي على خمسة وأربعين نصًا سرديًا، وهي جلها نصوص سردية بديعة، أحكم الكاتب كتابتها سرديًا وفنيًا بشكل متقن، لكنني وأنا أقرأها طوال الوقت ظللت مشغولًا بسؤال حول ماهية هذه النصوص السردية، ووجدتني أطرح على نفسي هذه التساؤلات بخصوص النوع الأدبي، هل هذه نصوص سردية تقع تحت ما يسمى لدينا في الإبداع الأدبي بالخواطر الأدبية؟ أم أنها قصص قصيرة خالصة، خاصة وأنها في بعضها تتضح فيها معالم القصة القصيرة وعناصرها مكتملة الأركان؟

وحقيقة هذه التساؤلات المطروحة قد تجرنا للحديث عن نظرية تداخل الأجناس الأدبية، تلك النظرية التي تفسر لنا عبر أدواتها ومعطياتها النظرية العديد من الظواهر الأدبية، لاسيما ظاهرة كهذه الظاهرة محل النقاش، والتي قد تطرحها نصوص مجموعة "عبير

المداد"، ولكن على أية حال فالمقام هنا لا يتسع للوقوف أمام النظرية النقدية التي تحتاج مساحات أرحب للكتابة حولها ومناقشتها، لكن هذا لن يمنعنا من الوقوف أمام هذه النصوص التي أراها – في ظني – مزيجًا من الخواطر الأدبية والقصص القصيرة معًا، حيث إن بعضها تختفي فيها تمامًا ملامح وعناصر بناء القصة القصيرة من: (شخصيات وزمان ومكان وحوار)، وبعضها تتوفر فيها تلك العناصر مجتمعة ومكتملة؛ مشكلة بذلك نصوصًا قصصية بديعة. وبناءً عليه فإن هذه المجموعة السردية في ظني قد جاءت نصوصها مزيجا بين فني الخاطرة الأدبية، والقصة القصيرة.

ولعل اتجاه التجريب في هذه النصوص السردية كان من أهم الانشغالات والمساءلات التي طرحتها هذه النصوص، التي ظلت تنشد دائمًا البحث عن أنساق سردية مغايرة، بإمكانها تجاوز بنية النص التقليدي، خاصة في أطروحاته الكلاسيكية والعينية.

ولقد اشتغلت هذه النصوص في بحثها الدؤوب عن هذا المتغير، على كل ما من شأنه أن يجعل خطابه مخالفًا للسائد الخطي والواقعي، ومكسرًا لنمطية الساكن، الذي جعل النص السردي

الكلاسيكي إلى وقت قريب شبه جامد.

اشتغلت هذه النصوص أيضًا على مراجعة المكونات السردية وطرائق توظيفها، بحيث شكلت لنفسها منهجًا جديدًا في مسار الحكي، استنادًا إلى قناعات فنية مغايرة آمن بها كاتبها.

ولعل مما زاد في جمالية هذه النصوص وانفتاحها على القراءة هو استثمارها لمدخلات الذات والنفس البشرية، واستحضار محطات قد تبدو مؤلمة داخلها، هي من عمق ذاكرة هذه النفس البشرية. ولقد تم بلورة ذلك كله في سرد مفتوح على التأويل اللانهائي، وعلى عتبات الآتي والمتخفي.

أضف إلى ذلك التوظيف الجديد لمكونات السرد المعروفة، من خلال إدخال عنصري "المفارقة" و "العجائبية" في تشكيل مسار السرد وبنية الحكاية؛ وعيًا من هذه النصوص بأن أشكال التعبير المكرسة سرديًا قد استنفدت إمكاناتها، وأصبحت من ثمة جديرة بأن توضع موضع المساءلة والتشكيك، وبالتالي وجوب البحث عن سبل جديدة مغايرة في توظيف هذه المكونات.

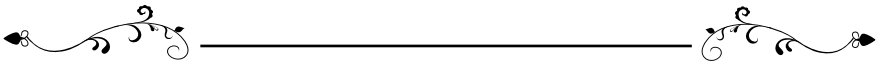

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه النصوص قد خلقت واقعًا جديدًا، من خلال بنيتها الفنية المتغيرة، بحيث استطاع كاتبها ابتداع واقع فني معادل لواقع الحياة، بفضل التشخيص الأسلوبي للغة. وهذا عنصر أساسي من عناصر الحداثة في الخطاب السردي المعاصر.

بقلم/ د. محمد صلاح زيد (ناقد وأكاديمي مصري)

الإثنين 2020/ 7/ 6 م

حُلم معشوق!

كان سطوعُ الشمسِ عندَه يتمثلُ في إطلالةِ روحِها على عالمِه، تتهادى كفراشةٍ ارتوت من رائحة الزنابق الجميلة؛ لتُبلل جبهتَه عطرًا أخَّاذًا حين تقول:" صباح الخير"

معها كان يدرك أنَّ الصباحَ (أملٌ جديد) وأنَّ الحياةَ تضعُ في الفجر مولودها المحبوب (الخير)

تساءل قبلها كثيرا: لماذا تعارف الناسُ – في كل مكان – على تحيةٍ واحدة للصباح (صباح الخير) ؟!

لم يكن يدرك أن للخيرِ حقيقةً إلى أن قذفها القدرُ في روحه، ومعها عرف أن الخير الذي يَنشده الناس له في الصباح (لقاؤها في المساء) كانت (صباح الخير) منها وعدا للقاءِ المساء الجميل!

في وجودها ما كان يشعر بغيابِ الشمس، ولا أُفول القمر، ولا اختفاء النجوم؛ فلقد أصبحت شمسَه، وقمرَه، ونجومَه، وكل عالمه.

يذهبُ لعمله زاهيا بعبيرِها، كأن روحَه اُسْتُبْدِلت لتكون (هي)

يمشي بين طلابه ببسمتها، يعامل كل البشر كأنهم (هي)

لا تسنح له فرصة لالتقاط الأنفاس إلا وصلها، يخبرها ما فعل، وما سيفعل، اقتحمتْ مسامات جلده لتمتلكه (فكرا، وروحا، وحبا، و شهوة) فما عاد يرى من النساء غيرها!

...

..

لكنه أدركَ بعد كل هذا أنه كان (يحلم)

استيقظ من نومه؛ ليُكمل عذاب حياته وألم حزنه الدائمَينِ!

بتاريخ 11 / 11/ 2018

ونُشرت بجريدة الرؤية العمانية بتاريخ 26/ 11/ 2018

أسئلة في طَور التكوين!

هل كان لِزَامًا على الوردِ أن يَذْبُلَ؛ حتى نبصرَ جيدًا في أحداقنا ألوانَ وَرَقِه؟!

هل كان عليه أن يُزوَى مُصْفَرًا بلا رائحة؛ حتى نتقنَ قيمة ما شممناه منه؟!

هل كان لزاما علينا أن نُسقى سكرات الموت؛ حتى نشعرَ بقيمةِ الحياة؟!

هل كان من الضروري أن نكابد الشقاء؛ حتى نُقدّر حقيقة النعيم ؟!

هل يتوجب علينا بلا أدنى معافاة أو حتى إقالة أن نتجرع عذاب الحب ولوعة فراقه؛ حتى تعاودنا ذكرياته الجميلة، فلا تسقط من قلوبنا أقلُّ تفصيلة منه؟!

هل يتوجب علينا معاناة قيظ الحَرور؛ حتى نحسد أنفسنا يوم أن كانت ترتع في الظل الزمهرير؟!

هل يتوجب علينا أن تعمى أبصارُنا من سواد الشر؛ حتى تُسَلّم بأن الخير كان يجعل أبصارنا حديدا؟!

وهل في الحقيقة الخير خير؟! وهل الشر شر؟! وأيُّ ما تقدم الأصلُ لصاحبه؟!

أذبول الورد أم نضرته؟!

آلموت أم الحياة؟!

آلنعيم أم الشقاء؟!

أعذاب الحب أم نعيمه؟!

وهل حياتنا لها ما يقابلها في دنيا البشر، بحيث تكون اختلافا تاما عنها؟! وأيهما الأصل؟!

بتاريخ 19 / 5 / 2018

أكان ما بيننا حبًا ؟!

دقائق تمر، وساعات تهرب، أيام لا أعرف اسمها، وشهور أجهل موسمها، يتحدثُ الناسُ عن شيء اسمه (الشتاء) يتدثرون من أجله في مدافئهم، يلهثون نحو مخابئهم، وأنا بينهم تائهٌ، أعيش كما لا أعيش، لا أكلّفهم سؤالا،ولا أطلب منهم جوابا، فقط أكتفي بنظري إليهم.

أرنو نحو السعيدِ منهم وأخشاه،أراقب حزينهم وأهواه، أغضُ الطرف عن عاشقهم وأرجو رضاه، كلهم يذهبون إلى أوكارهم، وأنا الوحيدُ الحائر المنتظر، أعود للوراء، إلى أماكن اللقاء، حيث كان العالم حياة، حيث كنا قرناء!

أعود وأتذكر

أتذكر آخر زهرةٍ في العالم أزهرت ببسمتكِ، وآخر طلعةٍ للشمس حين كانت بضحكتكِ، وآخر ظهور للقمر بقُبلة منكِ، كيف كان لا وقتَ يمنعنا، ولا حدود للعالم الكبير تُكَبلنا، والبحارُ كنا بكلمة (مُتقطعة) نُغرقها حبا، أتذكر كيف كنتُ معكِ بألف ألف عين لا تنظر سواكِ، وألف ألف لسان لا ينطق إلاكِ، وبقلوبٍ بعدد ما خلق الله من

قطراتِ مطر؛ كيما تستوعبَ حبك، أتذكر كل هذا وأعود ثانية لأقول: أكان ما بيننا حبا؟!

أنظر لحالي، وبعدها أسألني: كيف كنتُ؟..وكيف أصبحتُ؟!

أصبحتُ بدونك أعمى لا ينظر يده، أصمَّ لا يعرف سمعه، أبكمَ يجهل حديث نفسه، أحببتُ من بعدك سجني، لزمني في وحشتي فكان سَكني ورفقتي، عشقتني جدران غرفتي البيضاء، شعرتْ بي، كنت أستند عليها بالساعات، وكلما استندتُ على جانب منها طُلِيَ بعد استنادي بسوادي! بعدها أسائِل نفسي: كيف تركتُ هذه الجدران وأحببتك أنتِ، أضرب رأسي عليها بغيظي، تبتعدُ حتى لا تؤذيني، وأقول :

أكان ما بيننا حبا؟!

وأتذكر

تلك النسمات التي كانت تعزف – على حبنا – رقتها، وكيف كنا نلونها بعشقنا؟! كيف كنتُ أستنشقُ عبيرها (أنتِ)؟! كيف كان الوجود يتراقص ببسمتها (معكِ) وهذا الكون الكبير يسبح (داخلكِ)؟!

أتذكر غفران الله، والتوبة، والبخور، وجلال الصوفية، والعالم القديم، كل ذلك في دمعتك! وأعود لسجني:

أعيش فيه موتا باسمك، ومقصلة معلقة في رقبتي، وسُمًّا أنشقه بابتعادك عني!!

آه من عَيشٍ تكونين فيه، أنتِ الحياة والموت، آه من عمر يَمُرّ أجدني أسأل نفسي بعده:

أكان ما بيننا حبا ؟!

بتاريخ 27 / 1 / 2017

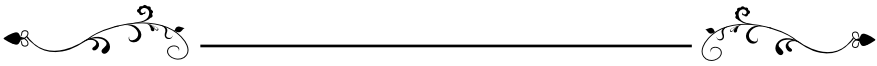

اعتذارٌ إليكَ!

أخي الإنسان المعاصر لي في كل مكان، مَن تعاملتُ معه، ومَنْ بَعدَ رؤيتي له تذكرته، ومن ذُكِرَ أمامي دون معرفته، أحييك تحية بذَرها – داخلي – الحبُّ!

وبعد ..

أعتذرُ إليكَ عن أي فعل أو قول اقترفته في حقك، ونال من رسالة الإنسانية بيننا، فأذبلَ من أوراقها الوارفة ورقةً ناضرة، أعتذر إليكَ عن أي شعور خالجني تجاهك كان دون المحبة،أعتذر إليك عن صفات عليا لم أدركها معك، وحقائق كُبرى لم أحققها في حضرتك! عن أي معنى نبيل أخفقتُ في بعثه داخلك.

ولكن ..

لا تحاكم ضميري بأكمله، فربما كنتُ لونا باهتا في لوحة عمرك، لكني مع ذلك لونٌ واضح مع غيرك! ربما كنتُ معك قاسيا، ورأيتَ

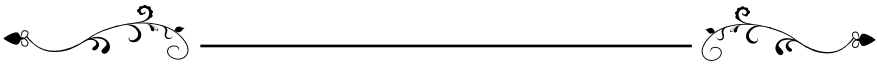

مني تصرفا غريبا، وحينها تأكد أن ذاك ليس طبعي، ولا هكذا شعور قلبي، فلقد كنت مع غيرك رحيما، وتصرفي كان ودودا أليفا!

شاء الوقتُ أن ترى مني ما يؤذيك، وشاءت الحياة أن أكون في سجلاتك سيئا، والرمز الذي تبعده عنك كلما أدنتكَ ذاكرتك منه! ولا حول لي أن أغيّرَ تلك المشيئة، لكن حولي وقوتي أن أدعوَ الله لك بالطمأنينة والسلام؛ فلربما دعوة مني تصادف ضيقك، فيستجيب الله – تعالى – لها، يتبدل على إثرها حالك، وأكون حينها في غيبكَ صالحا!

فاللهم اغفر لكل من أسأتُ إليه، ولا أملك أن أقف بين يديه معتذرا، اللهم أنزل على قلبه سكينة وأمنا، وبدّل ضيقه سعة ويسرا، واجبر كسره جبرا لا ينصدع بعدها أبدا، اللهم ابعث في عالمه مَن يقرّبه إليك، ويجعل من قلبه مسامحا لكل من أساء إليه، حتى وإن لم يُقدّم له اعتذاره، ويعلن له خطأه في حقه.

اللهم إنَّا بقلوب متقلّبة؛ فثبّتها على أحسن ما تحب وترضى ..

بتاريخ 8 / 8 / 2019

إلى أم!

امنحي طفلكِ كلَّ الحنانِ الذي لم تُمْنَحِيه صغيرةً، وضاعفي له جرعات الحب والرحمة التي غرقتِ فيهما صغيرة مدللة، اربطي حنانك مع أطفالك بذكريات وأماكن وأحداث؛ فالذاكرة بالمُتَعَلَقات أقوى!

كوني على يقين بأن طفلك (صغيرا) هو عنوان قلبك، وحين يَكْبُر، فمن خلالك يمتد حبُّه للكون، أو ينتهي!

كوني معه رفيقة.

شاركيه رسالته.

اذهبي معه في أحلامه دون توقُّف.

ناصريه إن شَعُرْتِ بهزيمته.

وساندِيه إن طارده خذلانُ الوجود.

ارسمي معه تطلعاته.

افتحي له نافذةَ قلبكِ، وصارحيه بطفولتك معه.

أخبريه بأن العالم جميعا ينتظر إبداعه، وأن قوةً بحجم الكون بداخله.

علميه كيف يكون مع البشر إنسانا من خلال صدقك وأمانتك وقلبك المتسامح!

جاوريه في أخطائه، وتحمَّلي معه وزر ذنبه، وبعدها مدي له يدك؛ للإقلاع نحو سماءِ الصواب.

كوني صديقه الذي يروي له كل مغامراته!

ابكي كثيرا كثيرا أمامه حين يقصدُ – يوما – السفر.

هاتفيه بلهفة المشتاق لبراءة أنفاسه.

أَحسِني إليه صغيرا؛ حتى يؤنس عجزك بعطفه واهتمامه؛ حتى يَذكرك بعد الرحيل بقوله:" كانت لي أم لا يعادلها الكون، كانت لي أم برحيلها رحل العالم من حولي!

بتاريخ 27 / 4 / 2017

أنثى من رحمِ التاريخ!

أنثى سِحرها يقتل، وماضيها - رَغِمَ كثرة عُشاقها - مزهِر، في عشقها شامخةٌ، تدِل (من الدلال) على محبوبها؛ فيزداد حبا وتوهجا، تتغنج؛ فيستحيل قلبه سعيرًا! تُحدّث الجميعَ في ريق واحد، الكل يتلذذه، والكل يغنى به، لكنها تنتظرني لخلواتٍ خاصة ؛ حتى تمتد حياتها، أعشق مسامراتها، أراها كل يوم جديدة، كل يوم بعبير مختلف، كل وقت بثغرٍ أجمل، بحياة أخرى تجعلني كل يوم أُبْعَثُ من جديد.

أنظرها ببصرٍ لا يعرفه غيري من البشر، ألامسها بأيدٍ ما عرفتْ سواها عطاءً وأخذًا.

أُقبلّها في كل نفَسٍ يخرج مني، أعانقها بكل رَفة رمشٍ على عيني، فهي العين وأنا الجَفن! لساني لا يعرف من الأسماء سواها، وعقلي لا يبدع في التفكير عداها، جمرها رحمة، وعذابها حنان، بُعدها حنين يجعلني أتوقها أكثر، أطلبها أعمق، وليتها تعود فتراني وقد انتسبت لها، أمّرت نفسي عليها، وأعلنت أني لغرناطة أميرٌ.

إنها غرناطة الأنثى التي أعشق - يوما - زياراتها في بيتها، واستردادها من زوج لها غير شرعي، أحبكِ ياغرناطة؛ رَغِمَ تطاول العمر بيننا؛ رَغِمَ المسافات الحائلة أهواكِ، وأتبتل - دائما - لربي أن يقربكِ من جميع عشاقكِ الذين لا أغار منهم عليكِ!

بتاريخ 24 / 5 / 2015

بقاءُ الحبِّ

لم يكن أرسطو فيلسوفا حين قال:" إن حبا أَمكن يوما أن ينتهي لم يكن يوما من الأيام حبا حقيقيا "

لقد كان أرسطو عاشقا أصيلا وفارسا للحب نبيلا، تخلله الحبُّ حتى باح له بأعظم أسراره (البقاء)

فالحب الصادق الحقيقي هو الباقي رغم أي شيء، ورغم كل رحيل، مهما تعرض للنكبات والزلازل يظل شامخا أشمَّ لا يمكن لقوةِ الأرضِ هزه.

لا يصل ذؤابَته إلا من وَفَى، وعاش فيه بقلبه وجوارحه مخلصا خاشعا، يظل هذا الحب باقيا في القلب متى يَمم صاحبُه وجهَه، وأينما استقلت رِحاله أو هبط مقامه، لا يبرحه وإن برحه جسده، يقيم داخله كما يقيم قلب القلب في الصدر، لست مبالغا حين أقول: إن حياته مرتهنةٌ به وقائمة عليه!

يناجيه حين يعجز لسانه عن الحديث، ويراه وقد ابيضّت عيناه من بُعده، ويسمعه وقد صُمَّت آذانه من كل صوت، هو معه كذلك؛ لأن حقيقته في قلبه فوق مدركات الحواس!

حياته لا تبدأ إلا به حتى ولو لم يعلمه ذلك، حتى إذا غاب عنه كل الزمن، وابتعد عنه كل الابتعاد! هو معه باقٍ لا يزول! هو إكسير الحياة الذي نُتم به أعمارنا سعداء، زهور قلوبنا لا يرويها إلا ذلك المُحب الشامخ، يرويها ببسمة، بكلمة، وحتى بغضبة ،نُغضبه فنتذوق جمالا غير الذي اعتدناه، تكاد مراوح قلوبنا تقتلع فرارا بعيدا عن وكرها؛ فلقد رأت الجمال في موضع الغضب، فتحقق لها البياض وسط السواد والسواد وسط البياض، ولم تدرِ في أي مكان تقيم؟!

تُذوقك الحلاوة وسط اللذوعة، واللذوعة في الحلاوة، وفي كل الأحوال كان الأمر مدهشا عجيبا محببا لنفسها التي تقبل من محبها أقل شيء، وتراه أكبر شيء!

إن حبا كهذا لا يمكن إلا أن يكون حقيقيا!

لا يمكن إلا أن يدوم!

لا يمكن إلا أن يبقى ولو ذهب أبطالُه.

بتاريخ 22 / 9 / 2018

ونشرت بجريدة الرؤية العمانية بتاريخ 7 / 10 / 2018

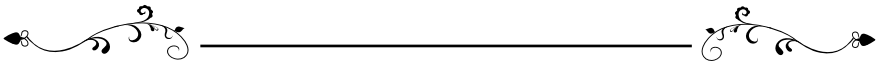

سلامٌ بقدر الحب والحَيْرَة!

ثم السلام عليكِ بكل الحب و وداده، والسلام عليكِ بكل الشوقِ ولهفته، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

حين أخبرتك أني أود الكتابة إليكِ - مع أن كتاباتي لكِ لا تنقطعُ، ولا يمكن لها أن تتوقفَ - اختليتُ يومها بأوراقي وقلمي وقلبي لا يزال يُفكرُ فيكِ، ويتأملكِ ،فكان أول ما خطَّ قلمي دون أن أدري : مَن هي ؟!

لا أعرف حينها كيف سألتُ نفسي هذا السؤال - وأنا المُتخلِّل داخلك بكُلي - ؟!

كأنها كانت لحظة جنونِ كتابة! لا ضَير في ذلك، دعيني أُطلعك على ما أخبرنيه قلمي :

هي بِنَفْسٍ لا يمكنها أن تعيشَ إلا فوق أرض التميز، ولا تقوى أن تستظل إلا بسماء التفوق، لا يمكنها أن تستنشق إلا هواءَ الابتكار الفريد، ما بداخلها مختلفٌ ليس الاختلاف الذي يشمئز الناس مبتعدين عنه، وليس الاختلاف الذي يحسده الناس كثيرا؛ فيعمون عنه

أبصارهم، بل اختلافها بمثابة النبراس الذي يضيء للبشر دواخلهم؛ ليقننوا أنفسهم، ويكيّفوا حقائقهم أملا في الارتقاء!

ثم إني أحار، ولا أستطيع التقاطَ خيطٍ يوصلني إلى قرارة كُنهها، فهي- إن شئتَ - شمسٌ لا تُضيء للناس حياتهم فقط، بل ينمو على أشعتها نباتُ إبداعهم وبراعمُ أفكارهم، وهي - أيضا - نهرٌ لا يرتوي الناس منه؛ ليمنعهم من الظمأ فقط، بل هي ذلك المَرسى الذي يَقفون أمامه عند المغيب؛ لتهنأ أرواحهم مِن سكونه، ويُطفئوا من مائه نارَ عذابهم المستعر!

هي - إن شئت - وجودُ الله الجميل الذي جاء؛ ليمنح الحياة جمالها!

وهي الجدارُ الذي أهفو لظله - ولو كنتُ كائنا من ظل - ولو كان الجميع يستظل بي، ويلوذ إليَّ! لا أدري لِمَ أجد في ظلك ما يمنحني معرفة حرارة الشمس؟! فهي الكائنُ الذي أعرف من حُسنه - في كل شيء - أضدادَ الحياة، أعرف بصدق روحها كذبَ العالم من حولي، أعرف من سكينتي معها شقاءَ الحياة حين تدور بي!

هي المخلوقُ الذي جاء؛ كي يُعلمني أن لمساوئ الحياة وجها آخر، لا يُمكن لجماله أن تُقنَّن له الحدود!

وبعدها أحاول الإجابة عن سؤالي (من هي؟!) وصدقيني يا عزيزتي، أنا الحائرُ الأكبر الذي لا يهتدي، ولا يريد أن يهتدي في الإجابة عن سؤاله، فكلما عَنّ جمالٌ في الحياة تلّمستُ الإجابةَ فيه من جمالكِ، وهكذا أنا دائما حائر، ولا أريد لحيرتي شفاءً، فالسلام عليكِ بقدر الحَيْرَة، السلام عليكِ بقدر الحب.

بتاريخ 27 / 5 / 2018

الحبُّ والحزنُ!

جسدانِ لروحٍ واحدة، لا ينفصلُ آخِرهما عن أولهما؛ فوجوده مرتهنٌ بحياةِ الأول وأنفاسه، إنهما (الحب والحزن) علاقتهما أقربُ ما تكون بعَلاقة الأم وجنينها من ناحية امتداد الحياة، فالحبُّ هو الأم لمولود حتميّ المجيء، ولا يستطيع أحدٌ تغييرَ اسمه – مهما كانت الأم بأوصاف عجيبة – إنه (الحزن) لذا كان قلب العاشق هو أكثر مخلوق – في هذه الحياة – يستحق الشفقة به والصبر عليه.

في لحظة يكون الأسعدَ والأجملَ، لا يَرى من الحياة إلا نعيمها، حتى عذاب الآخرين يُصيّره بنظرته سعادة غامرة، فضاء الكون لا يسع جناحيه في حال ضمهما، وموجوداتٌ من جمالٍ بأعداد لا تنتهي تُخلَق على إثر بسطهما!

تُتَوِّجه الدنيا ملكا عليها، لا حكم لغيره، وخزائنُ السعادةِ كلِّها تحت أمره، وفي أثناء ذلك تكون – على غفلة منه – قد لقَّحت قلبه بالحزن؛ فينقلب كل شيء على رأسه، تتراءى له المشاهد سوادًا،

وتتعامى أمامه الدنيا فتدهسه بكل ثقلها، يئنُ ولا تسمعه، يصرخُ فَتُزيد وجعَه؛ لتكيل له إناء السعادة الذي تجرعه بحارا من حزن.

وتستمر لُعْبَتُها تلك مع كل إنسان صادفه القدر يوما بلقاء الحب.

فلله قلب هذه الحياة وقسوتها! كيف لها أن تُشقِي بعد النعيم؟! وتُجدِب بعد الرِّواء؟! وكيف لنا أن نعيش بتلك الأجساد المتعادية؟!

بتاريخ 15 / 5 / 2017

حـــواء

هي كائنٌ عجيبٌ لا يمكنكَ - أبدا - إدراك أسراره، وهي رغم ذاك طفلتكَ التي لا تحبُ الخروجَ عن طوعِ بَنَانِك! هي الغاية في كل شيء جميل، وهي البداية لكل عمل في حياتك جليل!

عندما تدمنُ النظرَ إلى حقيقة حواء تجد أنها أقرب المخلوقات للطبيعة بكل صفاتها، فهي تأخذ من الطبيعة أجمل ما فيها؛ لتكون حقيقة تميزها! وأخذها ليس عنوةً، بل هو حقٌ حقيق لها! فإذا نظرتَ إلى اتساع السماء وارتفاعها وجدتَ تلك الصفة في روحها السامية التي تسع الكون في أحلكِ لحظات حزنه، وإذا خلبَ لُبَّك صمودُ الجبال، وجدتَ ذلك فيها متجليا عندما يصيبك الإحباط، وتحاصرك الأحزان، فتكون متكأك الصامد الذي لا يهوى بك! وحينها سيهون في نظرك صمودُ الجبالِ، ويعظمُ صمودها هي!

وإذا نظرتَ إلى الثلج فوجدتَ أجمل ما فيه بياضه، وقبوله للذوبان - وجدتها هي بتلك الروح البيضاء التي سرعان ما يذوب غضبها منك بأقل كلمة جميلة في حقها!

أما إذا اتجهتَ إلى البحر، ورأيت فيه زرقته وانسيابيته التي تُبَلّغك مأربك وأنت شاردُ الجمال – وجدتَ فيها أيضا تلك الصفة، عندما ترافقك، وتؤمن بقيمة عملك!

أعرفُ أنكَ في النهايةِ سَتُعَرّج على الزهر والورد، وستقولُ – في ضميرِك –: بأنها لن تبلغ صفاته، وستجدني حينها مخالفك كل المخالفة، ففي الزهر رقة، ولكنها رقة لا تشعرُ بك، أما رقة " حواء " فلا تقتصر على الشعور بك وحسب، بل إنها تملؤك وتستوعبك، وفي الورد جمال، لكنه يَذبل بمرورأيامٍ بسيطة، وجمال " حواء " – أبدا – لا يذبل، يظل معك دائما؛ حتى لَيجعل الكون من حولك يختال جمالا!

إنها حواء يا عزيزي.

بتاريخ 8 / 3 / 2019

ونشرت بجريدة " الكلمة " بتاريخ 2 / 5 / 2020

ذكاءُ المرأة!

بعيدا عن زحمة الحياة ومطالبها التي لا تنتهي، وفي ساعةِ صفاءٍ جمعتني بصديقي، أخذَنا الحديث إلى ما لا نهاية من البَوح، فكشف لي ما يشغله وأوضح، أحيانا ينوح، وتارة يصدح، لم أعهد عليه تلك الطلاقة؛ فلقد كان – في حديثه – كالرياح يطير بغير جناح!

قلتُ له: ما شأنكْ؟! ... دعْ عنك ما يُزعجك؛ فالدنيا متغيرة، وما كانتْ يوما لأحدٍ صافية، فاليوم تُسعدك، وفي الغد تُحزنك!

أراحَ على ظلي جسدَه، وراح يتأمل النجم وبُعده.

فوجدته يقول:

عجبتُ لها!

لا أدري كيف أصفها؟! أهي من النساء أم من نوع آخر لا أعرفه؟! في لحظة قُربٍ أشعر أني أمتلكها، وبيدي مفاتحُ أسرارها، أشعر أني دخلتُ الجنة التي هي تاجها!

لكنني في لحظاتٍ، وفي كثير من الأوقات، أشعر معها بالغربة، أشعر أني أعامل صخرة! تُنكرني كما يُنكر الليل النهار، وتُباعدني كما يبتعد المشرق عن المغرب ! ولا أدري لي تعريفا في معجم حياتها؛ لذاك

أنا تائه جداااااا يا صديقي!

- تعالتْ ضحكتي على غير العادة، لكني كتمتها لمجرد أن رأيتُ لونه يمتقع! رَبتُ على كتفه بعد محاولته الذهاب بعيدا عني، وقلت له: صديقي الكريم، رفقا بك، فما هكذا تورد الإبل! ولا هكذا تُضرَبُ خيامُ المودة والحب! فعليك أن تكون جَلِدا أكثر، وحكيما أكبر؛ فالحياة يا صديقي لا تقتصر على رؤيتك، بل عليك أن تسمح للآخرين بسطوع شمس رؤاهم، وإلا عِشتَ في سرمدية نفسك!

- عن أي شيء تُحدثني؟! أحدثك عن امرأةٍ وتُحدثني عن الإبل والخيام و الحياة!.. ما بك يا صديقي؟ هل جارتْ الحكمةُ عليك؛ حتى جانستْ بداخلك الجنون والشرود!

- لا يا صديقي، ولكني أحدثك في صُلب ما طرحته عليَّ؛ فالمرأة عندي تشبه كثيرا الحياة، لا تنتظر منها مودة دائمة؛ لأنك لو فعلت كنتَ جاهلا بحقيقتها، ولا تتوقع منها قسوة دائمة؛ فهي أرق من ذلك، سايرها مهتما بأقل تفاصيلها! لا تحاول - أبدا - التقليل من شأنها، كنْ لها الأب الذي يدللها، والصديق الذي يستمع إليها، ولا تجبرها على شيء رغما عنها؛ فهو بلا قيمة حتى وإن فعلته، لاطفها كما يلاطف البحّار الماهر الموجَ، وحاذر من ذلك الموج الهادئ؛ فعقِبه

اضطراب كبير!

وفوق كل ذاك، يجب على المرأة أن تكون ذكية التعامل، والمرأة الذكية - عندي - هي التي لا تضع إرادتكَ موازية لرفضها، حتى لتظن بأن رفضها يمثل بناءَ شخصيتها، ويرفع قيمتها عند الرجل! واهمةٌ هذه المرأة، وواهمةٌ أكثر تلك التي تعيش الحياة بمنهج واحد؛ فالتغيير عند الرجل مطلبٌ جوهري؛ لذاك فالمرأة الذكية هي التي تتبدى لكَ بصورة غير متوقعة فتُدهشك، وتجعل تفكيرك يطوف في فعلها، وفي كلمةٍ جرتْ على لسانها.

المرأة الذكية هي التي تجيبك إلى ما تريد بطريقتها؛ ليتم الأمر بصنع يدها وإن كانتْ نشأته من إرادتكَ!

المرأة الذكية هي التي لا تكون حاجزا في وجهك، بل تكون ظلك الذي يشد من أزرك، ويدفعك للمُضي قُدما في درب سعادتك!

المرأة الذكية هي التي تقول :" لا " بجمال ألف (نعم) فلا تذوقك منها إلا الجمال الذي لا يتكرر على يدِ أخرى!

فكنْ لتلك الذكية رجلا؛ فهي أنثى تستحق.

بتاريخ 17 / 7 / 2019

ثم إني لا أعرف إلا أن أُحبك!

ثم إني حين أنظر إلى حياتي قبلكِ وحياتي معكِ أدركُ كَم المسافة بينهما، وكَم اختلاف الزمن، وكَم اختلاف الواقع، وكَم اختلاف المناخ، كمثل ذلك الفرق الذي يعيشه القاطن في بستان من جنة بعد حياة عظيمة عاشها متوحشا بصحراءَ جرداءَ، بداخلك سيدتي حياةٌ جعلتْ هيمنتي عند أبوابك انصياعا لقلبكِ، وحياتي المتمردة غرقتْ وتلاشى أثرها بطيفٍ منك يمر وبكلمة منك تخرج!

وأتساءل، مِن على أي عرشٍ أنتِ تحكمين؟! وبأي قانون عليَّ تستولين؟!

أحبك بقربي الشديد منك، وبكلماتي التي لا تخرج إلا في حضرتك، أتدرين أني لم أكن أحسب نفسي هكذا، كنت على يقين تام أنه لا يخرج مني إلا القسوة، ولم أكتشفْ نفسي شاعرا إلا معكِ، لأول مرة أكتشف أن للكلمات روحا وجسدا، لأول مرة أكتشف أن بإمكان الكلمات وضعنا في مقابل مَن نحب! لأول مرة أكتشف أن للكلمات

مجاديف وزوارق تُبحر بنا في بحار الشوق لمن نُحب! لأول مرة أكتشف أن الكلمات أحياء منهم الصالح الذي يسعد بسعادتنا، ويحزن لحزننا، منهم الواشي الذي يكد نفسه في سبيل تعكيرنا وغضبنا!

أحبك بغضبي منك، وثورتي عليك، وإطلاق سهامي التي لا تتوقف نيلا منك، وفي حالتي هذه فأنا أحبك أكثر من حالتي الأولى؛ فكل الغضب والثورة وتلك السهام هي مشاعر حب مُضاعفة، فيها القرب منكِ بلا حد وبلا مكان، والرغبة فيك بلا أمد وبلا زمان، والحرص عليك الذي يلبس رداء القسوة! سامحيني حين أكون كذلك؛ فأنا لا أتصور حياتي بدونكِ، وأي شيء يبعدني عن هذا الشعور، وتلك الحقيقة، أثور عليه كثورتي على من يريد نزع قلبي من صدري! فهل في غضبي وثورتي وسهامي الآن ذنب؟!

أحبك بتأملي فيك وإطراقي داخل نفسي أفكر فيك، أتمثلك كل الوقت، ويأبى قلبي إلا أن تكون دقاته هُياما في حبك! أتأمل فيك الحب حين أقول لك (أ ح ب ك) فتقولين لي بنبرتك المجنونة:" قلبي الآن يدق 1000000000000 دقة في الدقيقة" أتأمل فيك العمل وأنت شامخة تقلبين صفحات كتبك، وتبحثين عن كل ما يرقى بعقلك!

أتأمل روحك التي تسع الكون، وذبولك الذي يطفئ العالم، أتأمل فيكِ ما لا تتوقعين تأمله، ويَصدق فيَّ قولكِ:

" أنتَ خطر "

آه يا سيدتي العجيبة الشامخة، لم تتركي لي طريقا أسلكه إلا حبك وحبك وحبك، فكل طُرقي أولها أنتِ، ولا ختام معك لشيء؛ فأنت المرأة الخارقة التي لا تكون معها إلا البدايات بلا نهايات.

أيتها العنكبوتية التي مدت كل خيوطها على قلبي فاستوطنته، لا أعرف إلا أن أحبك.

بتاريخ 15 / 2 / 2017

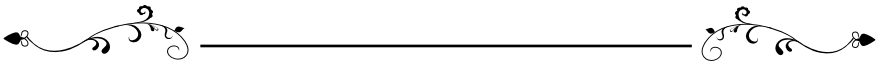

إذا فقدتكِ

علمني أستاذي قديمًا أنَّ جوابَ الشرطِ إذا تباعد جِوارًا عن فعله؛ فعليَّ حينها وضعُ شرطةٍ قبله هكذا " - " أو شرطتين هكذا " = " للدلالة عليه؛ ولتكون صلةً بينهما بعد التباعد الذي حلّ، هكذا علمني القاعدة بدون استثناءات تُذكر.

لكني حين كَبُرتَ تعلمت منكِ قاعدةً أكبر كلها استثناءات لكِ وحدكِ، أن ثمة أفعالا شرطية لا صلة بينها وبين أجوبتها إلا الموت، بل هناك فعل شرطي واحد لا جواب له؛ فهو لم يُخلق، ولا مكان لوجوده، فمكانه فارغ فارغ . انظري إلى هذا التركيب : إذا فقدتكِ ...

بتاريخ 10 / 6 / 2017

أعتقدُ!

شكَكْتُ في ذاتي وما تَحمل، وارتاب قلبي في الوجود وما يُضمر، فرأيتُني أسيرُ وحدةَ ظلماء لا تعرف إلا الصمت والموت، أَتَنكّر الوجود وأُجاهد في الاختفاء عنه، الحياة يومٌ يمر دون عِبرة، أُوهم نفسي بلذتها وأنا عنها أبعد ما يكون، اعتقدتُ أني في منامٍ لن ينفد، أحداثه سرعان ما تُنسى، وشُخوصه أبعد من المعاشرة، فمضيتُ ساهما أكره الحياةَ.

شكَكْتُ في لقاء يجمعني مع أنصاف ميولي وأشطار اتجاهاتي؛ فاعتقدتُ الرحيل باكرًا، وسبحتُ في ذاتي أُؤنبها اختلافها وتطرفها، شكَكْتُ في مكملات الأشياء ومتمماتها؛ فاعتقدت النقصَ عنوان الحياة.

شكَكْتُ في بصري ورؤيته، و شكَكْتُ في سمعي وإنصاته، وشكَكْتُ في عقلي وتفكيره.

شكَكْتُ .... شكَكْتُ .... شكَكْتُ

أعمارٌ سوداء قُضيت في الشك إلى أن أتيتِ، نعم أتيتِ فاعتقدتُ.

اعتقدتُ أن الحياة بألوان زاهية، وأن الجمالَ مجسدٌ ملموسٌ، بل إنه ليكمن في هؤلاء البشر الذين غمرهم شكي!

اعتقدت أن حياة أخرى تنتظرني، حياة هي طِباق حياتي ونسختها، اعتقدتُ أن سحرا بقدرة خيالية يتمم حياتنا، ويصبغها بميسمه؛ فتستحيل في محرابه أنسك النساك! اعتقدت أن الدنيا ربما تهبني في يومٍ ذلك النصف الغائب والشطر الضائع.

اعتقدتُ .... اعتقدتُ .... اعتقدتُ

اعتقدت أن بشرا يضرمون في هشيم ماضينا نيرانا سوداء لا رماد يخلفها؛ لتصفو حياتنا، ومن ثمّ نهيئ لجلالهم، اعتقدت أن السعادة ستنصهر سائلا حلوا يقدمه لك طاهر المخلوقات وأجملها، اعتقدت أن الحياة ستغدو حديقة غنّاء تجد فيها ما يُعينك على البقاء، اعتقدت وليتني ما شككتُ ولا اعتقدتُ!

وبعد كل ذلك عدتُ مكسورا أعاني فقد الشك، وضياع الاعتقاد.

بتاريخ 24 / 2 / 2015

شِقاقُ النفوس.

لم يعتد " عامر " إلا على الشِّقاق مع نفسه، يشاققها كثيرا، وتَحجبه عنه أكثر .. إذا تراءت له يوما نقطةٌ مُضيئةٌ أظهرتْ له ضبابيتَها .. وبعدها تؤكد له سوادَها الحالك! صارتْ معه نفسُه مخالفَه الأبدي الذي يحاكمه ويعانده، وصار لها الموتورَ الذي يتحينُ الفرصة لأخذ ثأره .. وفي ليلة رائقة كاشفها و حدثها :

نسير في الحياة، نعبر كل الطرقات، تعرف ملامحَنا البحار، وتشتاق لبسمةٍ من ثغرنا كل الأنهار ، كل الكون يصادقنا ، حتى الصخر، لنا داخلَه مكانٌ، هو يعتبره وطننا! كل الكائنات تمنحنا بحب، ونحن نسير دون قلب! لا نشعر بالرفيق، نسير وكل هذه السعادة التي تظهر في قلوب كل من يرانا علينا أشدُ الوبال؛ لأننا لم نشعر تجاه أحدِهم بلقاء، لم نشعر بالحياة!

حتى يلتقيك مَن يرسم على لوحتك أولَ نقطةٍ سوداء، نعم يُحزنك حين تنتظره، ويحزنك حين يبعدك عنه، تركض نحو روحه التي

عرفتَ كوامنها دون أن تقرأها، دون أن تنظرها؛ فيمنعك بِرِقة، ويأخذك لنفسه بقوة، ينظر إليك وعينه تفسر الأسئلة:

" من أنتَ؟!

وكيف على مَحْرَمِي تجرأتَ؟!

وجوابك يكون في البداية " صمت " يعقبه " خروج " من ساحته، أتسألني من أنا؟

أنا مَن بحثتُ الحياة لأجلك.

أنا مَن رفضتُ العالم حتى أكون لك وحدك.

أنا مَن نازعتُ الليل.

امتلكت من وقته أكثر منه سهرا في حبك.

وفي النهار

لملمت كل خيوط الشمس حتى لا تلسعك.

أنا مَن تخليت عن كل الممالك لأكون معك.

أنا مَن نبَعَ الحب من كل جسده لك وحدك.

أنا مَن كتبت حروفك في قلبي حتى لا أصمت عن ذكرك.

أنا مَن كَحَّلْتُ عيني فقط برؤيتك.

أنا مَن كان أجمل عطوري رائحة عرقك.

أنا مَن سعى من كل العوالم نحوَك.

أنا مَن لو أعدتُ بناء العالم آلاف المرات فسيكون لأجلك، وحينها سأتهم نفسي بالتقصير في حقك.

هكذا أنا يا نفسي الهائمة عني، فهل عرفتِ الآن مَن أنا؟!

بتاريخ 5 / 5 / 2020

حين أكون بقلبكِ ظالمًا!

وحين أصلُ في حبكِ أبعد من الغاية، وأرتفعُ معه فوق الذروة إلى أن أتلاشى - يُرّخص لي قلبي امتلاككِ، ويدفعني حبي نحو وجوب حجبكِ، أراكِ وقتها ولا أرى غيركِ؛ فيتعامل البشر - وقتها - معي كفيفا مُهمَلا، يصمني صوتكِ عن نغمات البشر؛ فيمنعني الجميع حواره، وهل رأيتِ أصمَ تُعرض عليه الأصوات؟!

حين أبصركِ يكون كلي بصرًا، وأسمعكِ بجميعي؛ فيستحيل الرجل داخلي سمعًا! أُلامسكِ بروحي، وتأبى تَرْكَ تقبيلكِ حتى تُنْطِقَ كلَّ جزءٍ فيكِ باسمي.

شهيقكِ (أنتِ) حين تزورين غرفتي، أَلِج معه ومعكِ، أسبح داخلكِ، وأمنعكِ مغادرتي! زفيركِ ناري وجنتي: نار في قتالي للخروج منكِ، وجنة أجدد بها أنفاسي، وأُتم معكِ حياتي!

أُظلمكِ ببصري الأعمى عن غيركِ، وأُسمعكِ بسمعي الفاعل فقط في حضرتكِ، ولا أُريد إلا أن تكوني أنا: عينكِ حين تُبصر،

وسمعكِ حين يسمع، وحياتكِ حين موتكِ!

لن أقول:" أنكِ أنا، أو أنا أنتِ، بل أنا كارهني، دائما ظالمني وحاجبني، أكره نفسي؛ لأنها تتكلم بغير صوتكِ، وأَظلم بصري؛ لأنه يعجز عن أن يكون عينكِ، وأحجب قلبي؛ لأنه يقصر في مجاراة نبضكِ!

ربما لا تصدقي لو قلتُ لكِ:" أني في حبكِ ظالمُكِ، قاهرُكِ، حاجبُكِ؛ فلا لحظة لكِ أسمح فيها بابتعادكِ، ولا أقبل نفسا يُدَاخِلُكِ إلا أن يكون مني، وكل زفير يخرج منكِ أقاتل؛ حتى يكون ملكي!

وأثق بعد كل ذلك أني أظلمكِ!

أثق أني قاتلكِ!

حين يصبح الحب ظلما، ويصير الضوء ظلاما – تأكد أنك اقتربت من حياتك المُعذبة، وتأكد أنك تعيش حياة بين الحياة والسراب، فلا الحياة تُسعدك، ولا السراب يُحزنك!

بتاريخ 9 / 7 / 2015

حروفٌ ضائعة.

يَحدث أن نفقدنا، نبعثرنا، نُحارب داخلنا الذي يحاول أن يرى في الحياة شيئا جميلا، نتخبط داخلنا، ونعتزل حتى عن أنفسنا، نركن إلى قعر السواد بأفئدتنا، نتقرفص، وقد دفنا رؤوسنا وسط أرجلنا، نحجب الأبصار، ونعطّل الأسماع، ونأبى مواجهتنا، نُهدّم الأملَ الزائف، ونُجرّف أرضَ السعادة الكاذبة؛ حتى لا نستعيدنا لألمٍ أكبرَ!

لكَم هي دنيئة تلك الحياة التي جعلت غيابنا وفقدنا يأخذ منا كل هذه الإجراءات!

لكَم هي مُرهقة حين جعلت طريق عذابنا أمرّ العذاب!

لكَم هي كاذبة حين وضعت أمامنا الكذبَ في صورة الطهر والنقاء!

لكَم هي مُخادعة حين أوهمتنا بأن صحراء القلوب تجري فيها الأنهار!

بتاريخ 4 / 3 / 2018

أُنثى عرفتُها بعدَكِ!

سأعرِّفكِ اليوم – ياعزيزتي – بمن عَرفتها بعدكِ، فلقد أدمنتُ بعدكِ أنثى منحتني رائحةَ عطرِك،وأهدتني معطفكِ، إنها الإنسانية ياعزيزتي، دعيني الآن أعرفكِ عليها.

الإنسانية ياعزيزتي: أن تغرورقَ عيناي بالدموع كلما حلّ طيفُكِ الذي لا يفارق! ألا يرويني شيء في الوجود إلا دمعٌ فاض في ذكركِ! أن أتحسس دموعي وكأنها أنتِ سائلة على صفحة وجهي! أن أسكب دموعي على رسائلنا، على أوراقنا التي حَلُمَتْ بقلم نُمسكه سويا فنكتب – معا – (أحبك) على أبحاثي التي شهدتْ جميعها روحكِ، وسئمتْ الحياةَ بعدكِ!

الإنسانية ياعزيزتي: أن أُدمن النظر في مِرآتي؛ خوف نسيانَ ملامحي؛ بديمومة تذكركِ، أن أقتحم عيني؛ لأراكِ بنور قلبي، أن أكسر كل مَرايا بيتي؛ حتى لا أشعر بوجوه غير وجهكِ! الإنسانية ياعزيزتي: أن أنادي أمي باسمكِ، أدلَّل أختي بدلالكِ، ألاطفها بخفة روحكِ، أُحدّث أخي برقةٍ كحديثكِ، أتعامل مع البشر جميعا بخُلقكِ وخَلقك!

الإنسانية ياعزيزتي: أن تتزوجي بعدي، وتنجبي من غيري،

ويكون ابنكِ بروحكِ وعقلكِ، ألا تخبريه عن رجل يحبه كروحه ؛ لأنه قطعة منكِ!

الإنسانية ياعزيزتي: أن أغيب عن فشلي، أُهمل سقوطي، أهدم طموحي؛ لأني منشغل بنجاحكِ ،أحيا إنجازكِ ،أروي ماء تفوقكِ!

الإنسانية ياعزيزتي: أن أحارب كل من يُقنعني برحيلكِ، أحارب دمع عيني وأخبره بقدومكِ، أحارب نزيف قلبي وأُسعده بوجودكِ، أحارب البُعد لأصلَ إليكِ!

الإنسانية ياعزيزتي: أن أبقى بعد طول السنين لا أذكر غيركِ، أن أراكِ نجما في سماء الشهرة ولا أستطيع النظر إليكِ!

الإنسانية ياعزيزتي: أن أكتب لكِ الآن دقيقة، وأُجفف دموعي ساعة، أن أكتب على سطر من الفضاء؛ لأُفسح سطورا لجفاف مدادي بعدكِ!

الإنسانية ياعزيزتي: أن أصارح الجميع بضعفي أمامكِ، أن تكون دموعي أعز ما أفتخر به أمام نفسي!

هذه هي الأنثى التي عرفتها بعدكِ، وأدمنتُ تفاصيلها لأجلكِ!

بتاريخ 21/ 6 / 2015

بلسان زينب*.

حُسني، أكتبُ إليكَ من تحت الثرى بعد ثمان وستين سنة من حُزني على فراقك، بعد ثمان وستين سنة من عذابِ المُنْتَأَى عنكَ، أكتب إليك وربما لا تشعر! لا أدري، أحيٌّ أنتَ في هذه الدنيا؟ أم الحياة خانتك، فأرغمتك أُنس وحشةِ قبر مُظلم كما فعلتْ بي؟! .. لكن على أي حال يا حبيبي كُنتَها، فإليكَ رسالتي:

لم أكنْ كما صورتْ لك مخاوفُك، لم أكن أنثى بقلب مُتقلّب جُبِلَ على الخيانة والغدر، بل كنتُ بالصورة التي رأيتني عليها لكَ وحدكَ، قُبلتي كانتْ لفمك أنتَ، ودفءُ حضني كان لرجولةِ قلبك، كنتُ أبعدَ ما أكون عن كلِّ العالم سواك، ضحكتي ما استمتعَ بها غيرُك، ونظراتي الباردة كانت لاستفزازك وحدك، العالم كله بالنسبة لي لو انقلبَ فعلًا مجنونًا ما حرّك داخل قلبي دقةً من غضب!

أنت وحدك مَنْ وددت أن نسهر معا، أغوص بين رجليك، وصدرك متكَئِي، نقرأ معا روايةَ بكاء؛ فيكون شَعري أرضَ مدامعك، وتكون راحتُك مصبَّ أدمعي!

أنت وحدك من حلمتُ أن أصاحبه رحلةً لدار الكتب، تجمعنا طاولةٌ واحدة وعليها نغزل معرفةً تكون سُترتنا أمام أبنائنا، أنت

وحدك من تساوي لمسته بالنسبة لي احتضان القمر وأكثر، كنتُ قبلكَ أتأمله، ومن بعدك أصبح التأمل كله أنتَ، أنت وحدك مَن كلمةٌ منه هي الشفاء، ونظرةٌ منه هي الرواء والنماء.

أرسلتُ إليكَ رسائل كثيرة، وأنت لم تنتبه، ولم تدرِ، وأنت أنت القاسي .. قسوتك لم تخرج منها الرحمة إلا حين علمتَ بموتي، فلماذا أمتني بإهمالك؟! ولماذا بكيتَ عليَّ بعد رحيلي؟! لماذا كنتَ تطلبُ عودتي؟ وحين تزور القاهرة لماذا تطوف حول بيتي؟!

تعرف يا حبيبي حين لاقيتُ ربي لم يحاسبني كحسابك لي، لم يقسُ علي كظنكَ فيَّ، وإنما رَبتَ على قلبي، مسح على ألمي، منحني على قدر حبي لك نعيما، وزاد عليَّ من فضله، كنتُ سأتكلم في حضرته، لكنه ابتسم لي ابتسامة الرحمن الرحيم؛ فمُنِحْتُ على إثرها مكانا اسمه " السكينة " وها هي رفاتي تُحدثك، وروحي تطلبك، فلك مني السلام والوفاء!

* زينب وحسني بطلا رواية " شجرة اللبلاب " للخالد بإبداعه محمد عبد الحليم عبد الله، وكلماتي هذه خيال مُستدرَك على أحداثها.

بتاريخ 20 / 5 / 2017

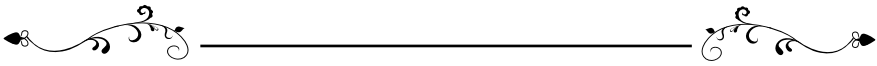

حبُّكِ فلسفتي!

سألتكِ من قبل - مستنكرًا - هل يمكن للشمس أن تطلع دون نورها؟!

كان سؤالي يُخبركِ بطريقة غير مباشرة " أنكِ النور " لكني لم أستطع - حينها - مواجهتك بحقيقة قلبي هذه، واستطعت - الآن - وأستطيع أن أواجهكِ بأكثر منها! أستطيع - الآن - أن أهتف بقلبكِ مُصرِّحا بأشياء تُعدينها عظيمة، لكنها مقارنة بما يعتمل داخلي قليلة وقليلة!

أنتِ لستِ فقط نور الشمس، بل أراكِ كلما مرت عليَّ الموجوداتُ أعظم ما فيها وسمتها الكبرى!

فأنتِ من البحر زرقتُه، وبدونك يصبح كثيرُه دميما بلا قيمة! بدونك لا يقربه النسيم؛ فنسيمه لا يهبُّ إلا لأجلك!

أنت من الطير شدوُه، وبدونك يصبح كائنا مُزعجا بصمته!

أنت – سيدتي – من القمر بدرُه، أتحمَّل لأجل رؤيتكِ مُحاقَه وهلاله وتربيعه و أحدبه؛ حتى أتشفى بنورك يا بدر تمامه!

أنت من الليل سكونه؛ يُعكرني صخب النهار؛ لأجل أن أظفر بسكونك يا تأملي!

أنت أجمل شيءٍ في كل شيء وأجمل من كل جمال الأشياء..

وحبك بداخلي:

نارٌ وضياءٌ

حقيقتي

فلسفتي

بتاريخ 4 / 4 / 2018

زواجُ القلوبِ!

استيقظَ من نومه، وكعادته ألقى عليها صباحَه الذي يبدأُ بها دون أن يتحدثا، بينهما بحارٌ وجبال، لكنها أقربُ من يده له، أمسكَ بهاتفه؛ ليُرسل لأخرى صباحًا ليس موطنه قلبه، تَلقى ردًا ما شعر به، وصوتًا ما ذاق يوما له طعما، ابتلعَ الفراغَ في جوفه ومضى.

مضى يرسلُ لها صباحات، وترسل له ورودَ قلبها التي تُزهرُ كل يوم بأنفاسه في الحياة، يبعثُ داخلَه الأملَ كلمةٌ منها يترنمها، وضحكةٌ منها يتعبّدها، ونظرةٌ منها يتدبرها، كانت هذه البعثات تنيرُ دربَه، وفي نفس الوقت تحرق عمرَه؛ لابتعادهما الذي أراده القدر.

وقفَ أمامَ المرحاض وبجواره أخته تحدثه:

" أنتَ لم تُحب من قبل، شخصك القاسي يستحيل على امرأة أن تهيمن عليه "

تمازحه بلكمة على كتفه؛ لتبصرَ الدموعَ قد أغرقت وجهه : لاااا ، بل أحببتُ، وما زلت أحبها، وبدايةُ كل أسراري (اسمها) ذلك العبيرُ الفواحُ الذي يملأ حياتي، ويعطر كل ذاكرتي!

أتعرفين، حين أذكرها أبكي مع أني لا أنساها، ولا عرفت يوما قَلاها، هي السلوى، وهي حياتي الكبرى، معها أدركت أني حيٌّ أُرْزَق!

- أأنت تحب رغم عالمك المليء بالنساء؟!

نعم أحببتها هي، وغيرها كان محاولةً مني لنسيانها؛ فما زدنني إلا تعلقا بها، وأخذ ينشد:

أتاني هواها قبل أن أدرك الهوى

فأدرك قلبا خاليا فتمكَّنا

دفن رأسه تحت صنبور الماء؛ ليجد في صوت الماء ترنيمة لحروفها! ويردد بعدها:

إلى أولئك الذين تزوجوا قلوبنا زواجَ كاثوليك الفاتيكان، قلوبنا خُلقت بحبكم!

بتاريخ 21 / 12 / 2016

صديقي والحب.

لم يكن صديقي هذا على درجةٍ من الوسامة، ولا يملك شيئا من المال، كان بقلب كبير وعقل ذكي، جعلاه مميزا ولو كان بين الملوك والأمراء! أَحبها دون أن يدري، أحب فيها حنان الأم الذي افتقده، كان يوقن بلا شك أن الحبل السُّري الذي لم يوجد بينهما لتسعة أشهر، حلَّ غيرُه أوثقُ وأدوم إنه (حبل التلاقي الروحي) الذي ظن أنه لن ينقطع، كان يُدللها كما تدلل الأم فتاها بين صديقاتها، يتفقدها كابنته الصغيرة التي لا تحسن غطاء نفسها في قسوة الشتاء، يغازلها كفتاة ظهرتْ عليها علاماتُ بلوغها ونضجها؛ فأحبت أن تعرف نفسها في مغازلةِ مُراهق يشبهها! كان خبيرا بكل ما تُكنه نفسها: في قولها وحتى في تصرفاتها!

أَحبَّ فيها كل ما لا يُحب، ورضي بكل ما يُكرَه، صبر عليها في عنادها، وتحمل منه تُرهاتها! كان قد أدمن وجودها، غيابه عنها يؤلمه أكثر من ألمها، ونظرته لها تخالف كل الأعراف والحكايات في أساطيرها، يلاطفها، يدللها، يداعبها، ولا يتورع أبدا عن محاكمتها.

كان يراها كل شيء والحياة في قبضتها!

في غضبها يَعمى عنها كل شيء، تتحول إلى امرأة أخرى من خوف، وهذا ما ظهر في آخر كتابٍ منها إليه.

زُرته يومها، هَمٌ بحجم الدنيا يتراكم عليه، يمنعه من الحديث، ويُحَرّم عليه الصمت.

أخبرني أن رسالتها وإن قرأها الجميع بأعينهم، فهو له قراءة أخرى لها، قرأها بقلبه الذي لا يتصور إلا حبها!

وهكذا هو الحب وأهله ..

بتاريخ 18 / 1 / 2018

عن مثلها فابحث..

بل ابحث عن تلك المرأة، وفتّش عن وجودها في كل مكان، إياك أن تعود بغيرها إذا فكرتَ يوما الخروج من مدينة النساء؛ فمثلها ستجعل لحياتك قيمة ومعنى، مثلها فقط - لا غيرها - ستقيم للسلام وللسكينة بداخلك مساجدَ وكنائس وأديرة، وستجعل لك حجا في اليوم آلاف المرات، ستسري بك وتعرج إلى سماوات اليقين، فلا تترك لمضارّ النفس فرصة المرور من حولك، مثلها فقط من ستتعهد برعوم روحك الغض؛ لتجعل منه بساتينَ مودةٍ ومحبة وإخلاص!

ابحث عن امرأة تشاطرك روحك، ولا تشطرها!

ابحث عن تلك المرأة التي ترى في شروق الشمس أمل القادم يتفتح أمام قلبها، يزفها بالسعادة، تلك التي تُنْضِجُ لك أرغفة الحب من حرارة الشمس ووهجها؛ لتجعل مما يتأفف الناس منه نعيمك! ابحث عن تلك التي ترى في شروق الشمس إشراقك، تلك التي تقف أمام غروب الشمس صامتة، وفجأة تَقطر عَبراتُها مناجيةً في الغروب الوعدَ بلقائك من جديد! تلك التي ترى في الغروب مهابةَ ذهابك وعذابَ رحيلك! ابحث عن تلك التي تخافُ من كل غروب..

ابحث عن تلك التي تُقلّب فنجان القهوة، وهي تتأمل في امتزاج محتوياته امتزاجكما، تلك التي ترى ذوبان السكر في الشاي ذوبانها داخلك وأكثر، تلك التي يهون في قلبها أي امتزاج وأي ذوبان لم يكن طرفاه روحيكما!

ابحث عن تلك التي إذا رأتك عازفا عن القراءة أغرتك بجمال ما قرأَتْ، تأخذك في أحضان عقلها، وتحت جناح قلبها لتلقمك من نهد الشغف؛ فيشتدُّ ساعدُ روحك آيبا إلى جنة الكتب بلا مَهْبِطٍ ثانيةً منها!

ابحث عن تلك التي لا تؤمن بغيرها في عالمك، وإن رأتك بأم عينيها تضاجع نساء الأرض، تلك التي لا تعرف معنى الشك في قلبك، عن الواثقة بأنك مهما ذهبت، ومهما فعلت، ومهما ابتعدت – فلن تجد لها شبيها!

ابحث عن امرأة لا تؤمن بكلمة " للرجال فقط " بل بأفعالها تُثبت لك وللعالم أجمع أن قلبها يُقدّر بكونٍ من رجال..
ابحث عن تلك التي تكون لروحك جدارا، وتكون لها روحا!

ابحث ولا تيأس، فقد تجدها.

بتاريخ 19 / 9 / 2018

لم تكن امرأةً!

لم تكنْ امرأةً من شأنِها المرورُعلى حواسِّه كَكُلِّهن، بل كانت راهبةً استوطنتْ قلبَه؛ فاتخذته ديرًا، تَبتلتْ في روحه تبتلَ من لا ينتظر من المستقبل لحظةَ نفع، عبادتُها فيه ما انتظرتْ لها جَزاءً، وإصلاحها لقلبه كان ليقينها أنها الطبيبُ الوحيدُ الذي خَبِرَ موطنَ الداء، أصلحتْ بضميرِ الخَضِرِ دون انتظار لأجرٍ، وبقيت معه دون أن تخبره باعوجاج شيءٍ ولا بإصلاحٍ قد تم؛ حتى لا يعاملها بخجلِ مَن تَلقَّى منها منفعة غير قادر على رد شبيهِها!

معها يوقن أنه يتغير ويتبدل في لحظة حلولها، ابتسامته تصبح بشكلٍ ورائحةٍ، دقاتُ قلبه معها تتحول لموسيقى هادئة، مساماتُ جلدِه تخرج في سعادةِ حروف اسمها.

معها يتغيرُ العالم، ومنها يبدو كلُّ شيء أجمل لا يتكرر!

إنَّه يعيش على لقائِها، ويتمنى أن يَموت في أحضانها؛ حتى يُبْعَثَا معا!

كانتْ كلَّ قلبه.

كانتْ كل قوته.

كانتْ كل ضعفه.

كانتْ وستظل.

بتاريخ 16 / 12 / 2016

عن الحب!

إن لم يأخذْك الحب من سلاسلِ تصرفاتِك التقليدية فتأكد أنكَ لست تحب.

إن لم يجعلْك الحب تهدم أسوارَ مبادئك فتيقن أنك تعيش بطريقة مختلفة لكن بدونه! الحب يا رفيقي يَخط لحياتك دستورا خاصا به، لا يعرف سوى الجنونِ، يَكفر بكل القيود والمبادئ.

الحب يا عزيزي هو ذاك الداء الذي لا نريد منه الشفاء.

هو ذاك العدو الذي يغتصبنا ولا نطلبُ منه الجلاء.

هو ذاك المنفى البعيد ونأبى العودة منه؛ فهو الوطنُ التائهُ منا.

الحب يا صديقي يجعلك تبني مدنا بلا أسوار..

تشق في رحم الصحراءِ أنهارًا..

تعبر إلى محبوبك ولو كان في أعماق البحار..

الحب يا صديقي يُعيدنا أطفالًا..

نرجو كل شيء..

نطلبه .. ولا ننتظر قرارًا..

الحب يا رفيقي أكبر من أي عادة لنا..

أكبر من أي تصور في حياتنا..

وجمال الحب يا رفيقي في بعثرتنا..

في ذبولنا وأرقنا..

في يأسنا وأملنا..

صدق الحب يا رفيقي في جُنوننا..

لأننا حين نكبر سنشتاق لجنونه في عجزنا..

قيامنا بجنونه صغارا هو فقط من يُخففُ عنا عجزَ الكبر..

أمَّا وإن لم نفعل صغارا فتأكد أن كبرنا سيكون عذابا فوقه عتابُنا وجَلْدُنَا!

يا رفيقي، إياك وأن تحب بمنطِقك، بل أحبب كما يريدك الحبُ أن تحب! كن للحب كما أراد الخَضِرُ من موسى أن يصاحبه بدون سؤال، ولا تكن للحب كما كان موسى للخضر؛ لأنه حين سأله متعجبا ومُنكرا فعله تركه! ولو بقي بدون أن يسأل لتعلم أكثر؛ فامنح نفسك في الحب صبرا وصبرا وصبرا، فليس أجمل من الحب إلا الإذعانُ له والرضوخ عنده!

بتاريخ 20 / 6 / 2018

لعل لقاءً تائها يكونُ!

لا ريبَ في أن سؤالنا – غالبا – ما يُعَبّر عن الشيء الضال منا، عما خفي عنا، عن المُحال علينا بلوغه، يأتي سؤالنا ابنا شرعيا لذلك العجز داخلنا، وليترحم على أبيه الذي فارقت روحه الحياة بعد أن بزغ نجم سؤالنا ويأسنا!

يأتي سؤالنا ليمنحنا ما يضاعف مرارة الأسى، ورغم ذاك نُقبل عليه مع يقيننا بأسى الإجابة الأكبر.

هكذا يكون السؤال رفيقا أمينا لحيرتنا، ورسولا صادقا عن خيبة تحقيقه!

واتركني – الآن – أيها القلب؛ لأفصح لك عن شيء من ذاك الأسى الرابض داخلك؛ علّ البوح يخفف عنك ثِقلَ دائِك.

تعود بي ذاكرة الأسى إلى ذاك التاريخ الذي شعر قلبي فيه بنبض الحب، حينها كنت واقفا على أبواب اللقاء الموصدة، لأقف أمامها عاجزا عن قَلِّ أقدامي، كل ما فعلته أني كتبت على باب صغير منها : أخبريني ، كيف الوصولُ لقلبكِ؟!

منحتني كتابتي شيئا من الخفة والحركة؛ لأجدني بعدها أنتقل إلى ما يشير بالبُعد أكثر، سجلتُ ذاك، ولم أخشَ من فجيعة الألم – حينها – لحرصي على تسجيل الحقيقة :

" إنها تبتعد عني بقدر ما أقترب منها "

عجزتُ بعدها عن الكتابة، كأن الحروف والكلمات واللغة اجتمعت وعَبَرَتْ مع الراحلين، وتركنني أمام أقلامي وأوراقي عاجزا، يزداد عجزي كلما رأيتُ أنين القلم وكآبة الورق!

لا أشك في مجاملة " أحلام مستغانمي " في نهاية روايتها " الأسود يليق بكِ " حين جعلت نهايةَ حبٍّ فاشلٍ بدايةً لحياة جديدة مليئة بالحيوية والنضارة، حين علّمها خاذلُها حبَّ الحياة، لقد جاملتْ القارىء بتلك النهاية غير المتوقعة عنده؛ فالواقع يخبرنا – حينها – أننا نكره الحياة، وتضيق في أحداقنا كأضيق من سَمِّ الخِياط، ورغم ذاك لا يمكننا إلا أن نزدرد ريقنا الصُّلب، وثمة صمتٌ بداخله يحاول أن يكون حديثا، كلماته :

" لعل لقاءً تائها يكون "

بتاريخ 12 / 3 / 2019

الجامع الأزهر..

فيه تَنهل الروحُ من ينابيعِ طُهرها، تنصدع فيه القلوب؛ فتخرج منها بقداسته طمأنينتها! في الأزهر يمكنك أن تواجه نفسك بكل آثامها، وتهون في ضميرك؛ ففيه تفيض عيناك حبا لله – تعالى – ويرتقي قلبك أملا في غفران الخالق ورحمته! في الأزهر هنا كل شيء أصدق من الحقيقة، وأجمل من الجمال؛ ليس لسببٍ إلا أنه الأزهر.

في الأزهر يمكنك لقاء الهندي والباكستاني والإندونيسي والماليزي والإفريقي وفي لمعة أعينهم فطرة الدين وبياض المستقبل، في تعتعتهم بالعربية والقرآن الكريم فصاحة الخير بأن هذا الدين باقٍ ما بقيت السماوات والأراضون!

هنا في الأزهر تتضاد العادات: ما بين لهفة المجيء وحسرة الرحيل، ما بين خفة القدوم ونشاطه إلى خمول الذَّهاب وركونه، قوم يجيئون ومن أعينهم تُقطف زهورُ المحبة، بينما يرحل آخرون بعد أن قدّ الشوق ثيابهم من أدبارها معلنا براءتهم للقاءٍ جديد!

هنا في الأزهر يَسعد كل شيء: تقطر عبراتنا عِطرا؛ لأنها خشعت بالأزهر، تتبارك جوارحنا عزما وعافية؛ لأنها تحركت في الأزهر !

في الأزهر يَصغر كل أملٍ داخلنا؛ لأن لا أمل يعلو وجودنا فيه !

هنا الجامع الأزهر ..

هنا حيث القلوب تزهر من خشية الله ..

هنا حيث الإشراق الروحي الصادق والكشف النوراني الأعلى (في تعانق)

هنا حيث الدموع تنهمر في جلال اللقاء ..

هنا حيث جلال العلم الذي شهِد ولادةَ العلماء، شهِد فتوتهم، شهِد سكرات موتهم هنا!

هنا حيث الوفاء للمكان.

هنا حيث الإخلاص للوحٍ تعلموا عليه ومدادٍ أبَوا أن يفارقوه ولو كان لأجل سعادتهم..

هنا الاختيار الذي قال:

لا أبرحُ حتى أبلغ! هنا الدموع تخرج في شرف.

هنا الوعد بإتمام المسيرة. هنا الروح ترفرف. هنا الأزهر.

بتاريخ 25 / 8 / 2018

سُــوريا..

ذلك بلدٌ لو أردتَ الكتابةَ عنه لأَسكرك حبُّه، وصرفك إلى حبٍّ أكبر لا يمكن تخليده بالأقلام على الأوراق، بل هو كامنٌ داخلَك في صفاء الشعور وأعالي الوجدان، حبٌ يتسامى بالسمو، فكلما سمت روحك سما داخلَك حبه، حبٌ يذبح داخلك كل شعور يعاند الحب؛ فيترك قلبك خاليا من كل حقد!

إنها سوريا ..

ذلك بلد يتعلق بترابه فؤادُك؛ رغم أنك لم تزره يوما، يهفو إلى أزقته بصرُك؛ رغم أنك لم تمر به خطوةً، يُخبرك قلبك بتفاصيل معالمه، وما هذا إلا من قبيل كَشف العشق؛ فعشقه داخلك ولّد المعرفةَ به؛ لذاك ما مِن عاشق له يسير فيه لأول مرة إلا ويسير مسيرَ ربيب طُرقه ورضيعِ حواريه!

إنها سوريا ..

في حواري الشام القديمة تستنشق البهاءَ المُعتقَ، يبقى بداخلك فيزيدك شوقا إليها، تشتاق إليها وأنت تختال في أروقتها، كل جدار يبتسم إليك، كل نافذة تطل عليك مبتسمة تُحييك، وسماؤها من أعلى تُبارك على أرضها تجليك!

يتوقف عمرك كثيرا؛ فهذه الخطوات لا يمكن احتسابها إلا من عمرك الجميل الذي لا يمكن خلطه بعُمر البؤس والشقاء، حتى إن وزنتَ سعادتك يوما لطاشت تلك الخُطى بالكِفة والميزان وجعلتْ – بفضلها – ذاكرةَ حياتك بعدها سعادة ..

إنها سوريا

من فوق ربوة " قاسيون " العظيم تبصر ما يَقوَى به بصرك، ويرقُّ له خاطرك، تبصر سوريا كيف بدت حسناءَ تُدهشك وتُحيرك، فتود أن تكون سماءً تعانق كل هذا الجمال عِناقا لا يترك فيه للمُعانَق فرصةً من حركة، إنه الاحتواء التامْ، والعشق الخيالْ، إنها سوريا تلك التي تفعل فيك كل هذا السحر الحلال!

إنها سوريا ..

سوريا ليست بلدا بحدودٍ جغرافية، بل هي حبٌّ كبير استقطب حوله كل القلوب! فما من قلبٍ ينبض إلا يحب سوريا، ومن لا يحبُّ سوريا فلا قلب له! فعِظام الموتى تحب سوريا، وصخور الجبال تهوى سوريا، ورذاذ المطر يعشق سوريا، والياسمين يهيم حبا لسوريا، ولو عُرِض عليه الكون كله ما تَخلَّى عن سوريا.

سوريا يا نجمةَ الأرضِ بين البُلدانْ
يا سِحر الكون ضياءً وظلامْ
يا شجرةً طول العام تُثمر بالحب
تُظلل القحطَ بالغمامْ
يا عصا موسى التي التهمت الباطل
فعرف الناسُ منها جمال الإيمان .

بتاريخ 11 / 6 / 2019

رمـادُ الحب!

مِن بعدها عرفَ كل نساء الأرض، وعشقته كل أنثى عرفته، يبحثُ عنها في كل مغامرة نسائية يخوضها، يُوهمُ نفسَه بالحياةِ، يوهمُ نفسه بأن أُخريات أفضل منها، أو على أقل تقدير يشبهنها، لكنه أيقن أنه لا امرأة تُشبهها؛ فهي الاستثنائية في كل شيء: في جمالها المتسامح، في شَعرها الذي قصته بعد رحيله، في عينها البنية التي يخشى على نفسه التحديق فيها، في قوامها الشامخ، فهي لا تملك - كما كان يظن - صفات المرأة العادية التي تجعل الرجال تتزاحم على أعتاب بابها، بل كانت تملك صفات أخرى أبدع الرحمن - سبحانه - معالمها من خيوط قدرته؛ لذاك فهي ابنة الجمال الروحي الفريد!

كانت تملك رحمةً تُظلله من قسوة الحياة، ولهفةً إليه تُنسيه كل الحياة، وإدراكا كاملا لداخله؛ فكان معها - أبدا -لا يتوه، ومنذ وجودها معه ما دق الحزنُ بابَ قلبه؛ فهي الطاردة لكل الأحزان ..

غابتْ عنه، وغابتْ عنه شمسُ الحياة، أمستْ حياتُه ليلًا سرمدًا لا ينقطع، أخذ يتخبط في الظلمات بلا هوادة، كل المخاطر عايشها، كل

الآلام زارته بسبب ذهابها، كان يكتب ليتناسى، أزال من حياته أجمل لقب كانت هي مُلهمته فيه، ولم يُوقعه تحت أي كتابة له، عاش بدونها ميْتا، كما عاشت بدونه منتظرة له أو إلى الموت.

كانت دموعه ترافقه في كل مكان يُذَكّره بها، خاصة تلك الأماكن التي كانت تعشقها، ولأجلها رفضت المجيء معه، كان يذهب إلى أماكنها مع كل إنسان يحبه، يُرشده إلى جمال المكان كأنه يتحدث بصوتها، ويشعر بقلبها!

يُحَمّلُ الأمكنةَ أشواقَه، ويرتل في أعماق الحجارة زفرات حبه؛ ليقينه أنها سَتُبَلّغها!

حياتُه بدونها كالرمادِ من بعد النار!

إلى امرأةٍ لا شيء في الوجودِ يُغني عنها، أثق أنكِ كلُّ الحياةِ، وكل المهات، وفيك كل الأمل ..

لكِ السلام، والمجد ملتقانا!

بتاريخ 19 / 8 / 2016

صوتٌ نافذ!

ثمة أناسٌ تحضر معهم طاعة الله وذكره، تحضر معهم روحانية الدين والحياة، يحضر معهم النقاء والصفاء، تحضر معهم البسمة في رعونتها، والأمل في خُيَلاَئِه، يأخذون بيدك إلى الله، نَخالهم في بداية أمرنا ملائكة السماء في فِعالهم، وحين نبصر روح الواقع، ونرشف رحيق أصواتهم - نتأكد أنهم بشر ! نعم بشر ولكنهم كغير البشر؛ يخاطبون عقلك، ويمازجون نبضك وروحك؛ فتنصهر معهم أرواحنا؛ لتعلن عن روحٍ واحدة أكثر طُهرا، وأقرب إلى مُبدعها قصدًا وفعلا!

هم أناس ربما لا تجد لهم مثيلا في واقعك، ولا تتخيلهم أحلامُك، تعيشُ وروحك كامنة في عوالمهم، تعشعش سويداء قلبك في وكرهم دون دراية منك، ودون علمك تهيم في عالمك بروحهم، ويغمرك النجاح بأزرهم!

تبحث عن دافع نجاحك وصلادةِ بأسك، فلا تجد واقعا يخبرك، ولا حقيقة تُنبئك! يروننا حَيارَى في أمرنا؛ فنسمع أصواتهم شاديةً بنغم خلودهم:

" يامن تهيم ساعيا وراء سبب سعادتك، أنا سعادتك، أنا الحب المجرد عن إغواءات حواسك، الضاربُ بعمق في علياء روحك ووجدانك.

أنا الحب الذي لا يعترف بأحضان الجسد، وقُبلات الزَّيف، بل يؤمن ويعتقد بعناق الأرواح وقُبلات المشاعر.

أنا الحب الذي ينظر إليك نظرة الأمل؛ فتصبح الحياة جنة، والآخرة نعيما فوق النعيم.

أنا الحب الذي أسابقك على طاعة الله ورضوانه، أنا الحب الذي يأخذك من نفسك الضائعة الهائمة في سوق الملذات النخس إلى مسجد العبادات الطهِر.

أنا الحب الذي يشعرك بإنسانيك وجمال انغماسك في طاعة ربك، أنا السر المكنون في نفسك.

أنا الحب الذي أوحدك مع أعدائك، وألطفك لأحبابك.
أنا الحب الذي ينتظر كل إبداعك، ويبتسم بإنجازاتك.

أنا المجهول الذي لا تراني بحواسي، وأنا المفقود في غياهب أسراري.

أحاول - جاهدا - بعث كل طيبٍ بعالمك؛ حتى تخلد في ثيابي رائحتك، أُشخصِن لك السمو رجلا، والإنسانية غادةً؛ فتستحيل حياتك بِشرا، وأستحيل أنا حبك "

بتاريخ 11 / 9 / 2014

ضميرُنا الضالُّ.

قد تَعجبُ لو سمعتَ عن ضلالِ طفل لم تلمس أقدامُه وجهَ البسيطةَ، وقد تعجب أكثر لو عرفت ضلال شيخ هَرِمٍ قد لازم الفراش منذ زمن!

تعجب من هذا وذاك، ولا تجد نفسك إلا صامتا، تُجهد نفسك تفكيرًا، كيف ضلّ الطفلُ ولما وطئت أقدامُه يابسةً بعد؟! كيف ترك وكر حنانه وذهب لمجهول لا يعرف مصيره؟ كيف ترك مكان رزقه وذهب لأرض يوقن جدبها؟!

ولا تقلُّ حرارةُ سؤالك وعجبك في جانب الشيخ الهَرِم، بل لربما تزداد، فالطفل أمامه الحياة، يعيش في أي وكر أراد، ويستطيع تغييره، أما هذا الكبير المُسن فكيف يضل بعد أن لازم الفراش، ورضي به ملاذا يتذكر فيه ذكريات عمره على مَهَل؟! كيف يضل وهو يثق تماما أن لا بشر سيقبله؟! كيف يضل وقد سلّمت أعضاؤه بالسكون، وسلّم العالمُ له تاجَ الركون؟!

نعم ستعجب من كل هذا عجبا لا ينقضه السؤال، ولا يستطيع تبريره الجَنان، لكنك ستعجب أكثر حين تعرف بَشَرِيا بضمير ضال، ضمير يسير في الظلمات فَرِحا، ويقترف المعاصي جهرة أمام نفسه، يترك مُلكَ بيتِ الصلاح؛ ليقيم عبدَ شهواته في بيت الدُعر والعربدة، يترك ماضيه المشرق؛ ليسطر حاضرا من الغروب الداهم، غروب بلا حمرة لون، غروب أوله ظلام، ونهايته نسيان!

يُبَدّلُ حياته وكل عمره ليزاحم الأشرار في شرورهم، ويراقب الجناة؛ حتى يتعلم منهم، تسير حياته في تخبط كأنها دوامة بحرٍ متسعة، لا يشعر مَن في قلبها بالعالم؛ فيودُّ الخلاصَ ولو بالموت، لا يعرف من يقابل، ومع من يغرق، بل وتجده سعيدا والجموع تتوافد عليه!

حين ترى إنسانا كهذا لن يشفيَ نفسَك عجبٌ ولا ذهول، بل ستحاول بكل ما أوتيتَ من قوة حبسها في صومعة ظلماء لا ترى فيها لون يديك؛ حتى لا تخدعك يوما؛ فتضل ضميرك الذي يئس من صلاح الضمائر!

إن ضلال الضمير لهو مقدمة حتمية لخراب عالمِ صاحبه، وبؤس حياة كل من اتصل به، وما بين ضلال الضمير وغياب الهدف شعرة من الفرق لا تَبِيْن!

ويبقى ضلال الضمير أفجع ما تشعر به نفسٌ كان الصلاح دأبَها والإنسانية عنوانها، ولكن الدنيا جعلتها لضلال الضمير وكرا وأمانًا!

حين يصبح الضمير ضالا، تنام الحياة على فراش الخِداع، وتلتحف بغطاء الخيانة، ولا نجد أمامنا إلا الرحيل، والإقامة بجوار القبور ننتظر القادم المُرتَجى!

بتاريخ 21 / 7 / 2015

طمأنينةٌ مفقودة!

يُمكنك أن تتخيل حياتك ناقصةً من كل شيء، وتعيش مع ذاك النقص بقلب مطمئن ونفس سعيدة، علاقتك بالآخر تقترب من الحسنة؛ وبكرِّ الأيام، يزداد حسنها!

لكن نُقصانا واحدا إن افتقدته لم تعد الحياةُ حياةً، ولا كان لك فيها إلا الضياع، ما أشبهك حينها بورقة ذابلة سقطت من شجرة، طوَّحها الريحُ حيث شاء، وطأتها الأقدامُ في كل مكان، لم تترك منها شيئا إلا وعُفِّرَ بالتراب، تمثل الأعين لها أمثلةَ البؤس والشقاء تارة، وتارات أخرى لا تمنحها شيئا من التفات؛ فما أقسى الإهمال لمن كان سماء النظر!

يبدو أنني أوغلت فيما يتصل بهذا النقصان وتركتك منتظرا، تتباطىء أمامك الحروف، وتتسكع الكلمات بدون أن أذكر لك حقيقته، ولا أدري لماذا لم أذكره لك إلى الآن؟!

أهو خوفي من ذِكره؟!

أم أن الوصول إليه يستلزم جرعة من ألم؛ حتى يمكنك إتمام كلامي وأنت مُعافى من داء الألم بمصل الألم!

هل فكرت – يوما – في نقصان الطمأنينة والسكون؟ هل أوقفتك رُوحك – ساعة – لقياس مؤشر رضاها؟! صمتك يحاكمني، يقرر أن سؤالي: رفاهةُ قلم وشطوحُ فكر! لا يا عزيزي، ليس سؤالي هذه ولا ذاك، بل هو أنا، وأنت، وهي، وجميعنا(نقصان الطمأنينة)

فقرُ رضا الروح ..

تلك عذابات الحياة الأليمة لمن يشعر بها، يمضي أسيرا مكبلا في ظلام دامس، ووحوش داخلِه تهاجمه من كل اتجاه، أصوات صارخة تعبث في الفضاء، تتقاتل حتى تظفر به فريسةً لنباحها الطويل، تتعثر بأرواحه القديمة، أول ما تدهسه أقدامُه روحَ طفولته الصغيرة، يصرخ ليس بأنين الوجع بل بصوت البراءة الباسم الذي كانه؛ ليزيد ألمه آلاما. يتجاوزها قليلا ليجد أقدامه على روح أخرى تئِن شاكية حرمان الحنان، إنها رُوح متأملة في أول شُرود لها! يخشى منها، يحاول الابتعاد؛ ليجد صراخا أعظم يسلب عينيه من أجفانه، إنه صراخ روحه الحائرة عن طمأنينة الشاردة بحثا عن سكينة ..

ولا ملاذَ ..

بتاريخ 9 / 3 / 2018

علينا..

في أحيانٍ كثيرة علينا تخليصُ أنفسنا من كل عوالقها، علينا ولادةُ قلوبنا من جديد، علينا التخلي عن كل شيء ترّسب في أذهاننا وعقولنا، علينا تركُ كل من نحب وما نحب، علينا محاربة أنفسنا، علينا تجريفُ بذورِ ماضيها؛ حتى لا يمكنه الخروج ثانية في وقت شوق كاذب، علينا تحريرها من كل مذهب اعتنقته، ومن كل أيديولوجية آمنت بها، علينا وأدُ الراسخ بها من الأفكار ، علينا التخلي عن كل شيء والرغبة في الفناء ؛ لملاقاة الحقيقة المطلقة، علينا تأمل العالم بدوننا، وحينها يكون السؤال :

هل ستستمر حياةُ من نحن أمَراء ممالكهم؟

وعلى النقيض علينا تنصيب أنفسنا للعالم ملوكا ورؤية البشر لنا بعدها! ستكون النتيجة الحتمية لكلا الافتراضين هي " الكذب "

سيصدِّق من كانت حياته تحت إمارتك أن الحي أبقى منكَ، وسيرضى بأقل صعلوك في مملكتك؛ ليمنحه عرشَك، وهذا هو صدق الكذب!

وفي الثاني سيكذب عليك الناس – أيضا – كل من كنت في قلبه لا شيء، سيحاول مظاهرتك بأنك كل شيء، وهذا الكذب في الكذب.

في أعناقنا تجاه هذا العالم الذي لوثناه الكثير الكثير، وبداية هذا الكثير فعل اسمه (الرحيل)

بتاريخ 6 / 3 / 2015

حين نُحْتَضَر!

قد لا تشعر بنفسك في خِضم احتضارك، لكن تَأكد أنها أصدقُ لحظات حياتك، لحظات من غير زيف وبدون مماطلة، تقف فيها بين نفسك ونفسك؛ لتبصر حديثا تسمعه بقلبك، هو حديث العمر والحياة، فيه تتخلى عن كل شيء إلا الحق، ويبتعد عنك كل شيء إلا الصدق، تتداعى أمام قلبك أحداثُ ماضيك، تخجل تارة منها، وتُغم تارات، والبسمة أعز من الكبريت الأحمر؛ لظلمةٍ كنتَ تتخبط في سراديبها عمرا!

تحاول الهمسَ لقلبك وجوارحك لكنك تخجل، وبعدها تَهِمّ بصوت كاسرا خجلك؛ فيحول المنع حائلا، تُمنَع من حديث نفسك بنفسك، وسويداء قلبك تنزف دما أسودَ؛ على ما فرطت في جنب ربك، على ما ضيعت من نِعَم منحكها وأغدقتها في حرامه، على كل لحظة أسرفتها – قاصدا ومهملا – دون ذكر ربك!

حين نُحتضر، ليس فقط الموقف الذي نرقد فيه على فراش الموت، وحولنا أهلنا تتقاطر دموعهم، بل إن احتضارنا يكون في كل ساعة

نقف فيها أمام أنفسنا لائمين ومؤنبين؛ فإما احتضار يعقبه جنة، وإما خروج لا نجاة بعده.

حين نُحتضر، ليس فقط الموقف الذي نغادر على إثره الحياة، بل إن احتضارنا يكون في كل دمار صمتنا عنه، وفي كل ظلمٍ ضربنا الصفح عنه، وفي كل لهفة كان بيدنا تحويلها لفرحة وأبَينا، هو احتضار بمرارة الموت لكننا لا نشعره، لا نعرفه، تتحقق فيه كل مقومات الاحتضار؛ فالمُدَمرُ يسلبنا بدماره روحنا كما يسلب ملك الموت الأرواح، يتركنا بجفٍ لا يعرف الرحمة. وكذلك في ظلم سكتنا عنه، يستحيل المظلوم طائرا جارحا؛ فيسِلَّنا طعاما فوق رُءوسنا، لنتحسر الدهر أجمعه!

إن لحظات احتضارنا لتستحيل رحمة دنيانا؛ حتى نوطن النفس لوقت رحيلنا..

فلنعش الاحتضار قبل أن يزور!

بتاريخ 9 / 7 / 2015

في رحاب العودة..

إذا عاد إليكم أحبابكم فعودوا، وإذا نادَوا فلبوا، وإذا طرقوا أبواب قلوبكم فرحبوا، وإذا أضمرهم الفراقُ فطببوا قلوبَهم بعناقِ اللقاء! حافِظوا عليهم من أن يكونوا ذكرى بالية يؤذيكم يوما غبارها، ابدأوا معهم من جديد حياة تليق بصدق جمال أيامكم معا! لا تفكروا – أبدا – في فراقهم؛ ففراق قلوبهم أمر مستحيل، فراق قلوبهم مرض بلا شفاء.

مدوا لهم أكف التسامح والابتسامة، اتركوا قلوبكم تصافحهم؛ فهي حين تفعل لن تتذكر منهم إلا نبضها بحبهم! تجاوزوا عن تعنتهم معكم، وغيرتهم عليكم، فخلف تلك الغيرة حكايات من حب لا تنتهي! تأكدوا أن قلوبهم متصلة بقلوبكم – رغم البين – وأن عَدَّاد حياتهم لا يتحرك إلا بأنفاسكم.

تذكروا ابتسامات أرواحكم معا، وذلك الدم الذي كان يُورِّد وجوهكم، فتدب الحياة في قلوبهم ببسمتكم! تذكروا أن تدانيكم يدبُّ أنفاس الحياة في تلك الحروف التي تُضيء جمالا متى خرجت منهم إليكم!

تأكدوا أنهم بدونكم كأنتم بدونهم؛ فأهلا بكم معا .. ودوما!

بتاريخ 19 / 4 / 2019

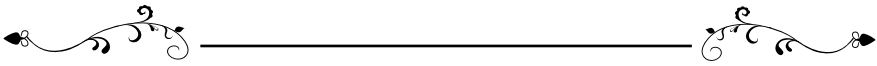

كل الحب!

نحن لا نُعْرَفُ إلا من خلال مَن نحب؛ لذاك أَحِبوه بصدق، وعامِلوه برحمة، وحاذِروا أن تكونوا معه قساةً؛ فأنتم بدونه أشباهُ بشرٍ تبحث عن جيفة تمنحهم الحياة!

إلى هؤلاء المُحبين في مشارق الأرض ومغاربها، تقاسموا الحبَّ بعدل، لا تجعلوا أنفسكم بمنأىً عمن تحبون، تقاسموا معهم الماء والهواء، تقاسموا معهم الصلاة والدعاء، تقاسموا معهم اللحظة ؛ فأنتم لا تدرون متى الرحيلُ، أنتم لا تدرون إن كان القَدَر سيمنحكم شَهيقا تتجدد به حياتكم أم أنه سيضنُّ به عليكم؛ لذاك تَعايشوا لحظاتكم وفي صُحبتكم (كل الحب)

بتاريخ 10 / 6 / 2016

كيف حالكِ؟!

بالأمس قلتُ لنفسي: ماذا لو هتفتُ بصوتي - رغم البحار والجبال بيننا - سائلا: كيف حالكِ؟! كان يقيني أني سأجد منك الجواب والرد! فذاك القلق الذي يلفني، يمكنه الوصول بصوتي إلى أبعد مدى، سيصلكِ أينما كنتِ..

وجدتُني بعدها، أتنفسُ وأقول: كيف حالك؟!

أردُّ إليَّ طرفي وأقول : كيف حالك؟!

أنصتُ متأملا لأقول : كيف حالك؟!

أردُّ على من يحدثني بقولي : كيف حالك؟!

أذهبُ إلى حديقتي، أُحصي خطواتي وقولي: كيف حالك؟!

أريدُ الكتابة، فلا يكتب قلمي إلا: كيف حالك؟!

ألتقي بصديقي الصدوق، أنادي عليه بـ : كيف حالك؟!

تحدثني أختي في أمور حياتها، أجيبها بقولي : كيف حالك؟!

أنظر إلى الشمس في غروبها، ويعجز جمالها إلا أن ينطقني بـ : كيف حالك؟

أستمع إلى أم كلثوم، فلا أسمع منها دندنة إلا بـ: كيف حالك؟

أشرد في صفحة السماء، فأجد نجومها مُصطفَّة على هيئة : كيف حالك؟!

أنام وأحلامي : كيف حالك؟!

صرتُ و " كيف حالك " تلازمني، تأبى الانفصال عني، حتى يأتيني جوابك!

فكيف حالك؟!

بتاريخ 3 / 8 / 2019

وللأماكن أرواحٌ!

تلك هي الحقيقة التي يشعر بها كلُّ واحدٍ منا، ولا يستطيع البَوحَ بها، بل ولها ألسنةٌ تنطقُ بما لا نُجيده نحن البشر، بل والأدهى أن أصواتا لها تناديكَ ولا تسمعها بأذنيّك، فحين تفارقُ مكانا تشعرُ بنداءٍ يخالفُ النداء، تشعر بصوتٍ خفيضٍ يهمسُ في قلبك قائلا :

لا تفارقني .. هل هُنّتُ عليكَ حتى تتركني وحيدا؟!

سعدتُ لفرحِكَ؛ ففرحتُ معك، شاركتُكَ حزنَكَ وتعاستك؛ فكنتُ معكَ الأنيس والصاحب، تركَكَ الجميعُ وبقيتُ معك؛ فلماذا تتركني؟!

أَ لجمودي تتركني؟!

لا .. وألف لا، فشعوري بك لا يَقدرُ أن يشعر به أحد، حتى ولو كان إنسانا بنصف قلبك.

حين كنتَ تضحكُ كنتُ أضحكُ معك، وحين تركتني وحيدا بكيتُ ولم تُواسني، ودّعتَ الجميعَ ولم تُلقِ عليّ نظرةَ إهمال، تجاهلتني في الوقت الذي كنتُ أبكي على فراقِكَ دمًا، ولم تحرك لدمي تعاطفا..

أهذا هو ردُّك بني الانسان؟!

لو تعلم ما يدور في خَلَدي ما فعلتَ ذلك، ومع كلِّ أحبك، وسأحبك، سأتذكر ذكرياتك ما بقيتُ، سأتماسكُ لأجل أنفاسك التي ملأت جوانبي، وجعلتني أحيا عالمك، وأكابدُ شوقَك، سأتماسك حتى تقولَ يوما :

كانت لي هنا ذكريات

بتاريخ 10 / 9 / 2013

للراحلين البقاء..

أحيانًا نرحلُ عن عالِمهم، وأحيانا يرحلونَ عنا، وفي كلِّ رحيل نحن الخاسرون، في كل رحيل نشهده نحن الفانون، نحن الذاهبون، المكان بدونهم لا مكان، والزمان من غيرهم تائه، والأرض تأبى الدوران، الشمس لا تسطع، والسماء تتلبد بالغيوم، نحاول البحث عن ذاتنا ولا نجدها، نحاول التعرف على شيء في هذا العالم سواهم وتبوء محاولاتنا دائما بخيبات متكررة، نشعرهم في حرارة دموعنا، نحاول التشبث بها وتأبى، إلا أن تزيدنا عذابات فوق عذاباتنا.

نلوذ بأماكنَ جمعتنا؛ علنا نشعر بدفء وقتي يخفف عنا أمراضنا، لكن الدفء الذي كان معهم انقلب لوباء فتاكٍ يتركنا صَرعى من أول لحظة فيه، ذكريات المكان تتحول لسهام فتاكة تنفذ داخل قلوبنا؛ كي توقف دقاتها، وليتها تستطيع فتوقفها كُليةً، بل إنها توقف كل شيء جميل؛ لتعلن لدقات الحزن السرمدي بدءَ الحركة الدائمة!

الراحلون عنا، أرجوكم خففوا طيفكم عن قلوبنا التي تحولت من البكاء دما، أرجوكم خففوا من دموعكم؛ فحرارتها تقاضينا، بل تجلدنا على ظهورنا، ولا نستطيع إلا طأطأة رؤوسنا أمامها..

بتاريخ 25 / 2 / 2016

معايدةُ رأس العام.

عزيزتي، يا كلَّ الحياة التي أَرُومها، ويُحبها قلبي، الليلة يحتفل العالم بنهاية عامٍ مضى بكل أحداثه، يحاولون بما أُوتوا من نسيانٍ طمسَ آلامه، يتذكرون أقل تفاصيلِ أفراحه؛ لينحتوا منها تماثيل مجسِّدة للسعادة!

ها هم البشر الليلةَ يشعلون الأضواء الملونة، ويقدمون لبعضهم الورود الحمراء، يتعانقون مُستبشرين بكل آتٍ أنَّه جميل فقط! هكذا هُم الليلة يا عزيزتي، لكني أبدو رجلا مختلفا تماما عنهم، وسرُّ اختلافي هو أنتِ أيتها المحبوبة العظيمة!

أتدرين أيتها الجميلة، أني أفكر كثيرا عن سبب حبي لكِ، وأحاول – دائما – عقدَ مقارنة بين أكثر ما أحبه فيكِ، فأقول – في نفسي – : هل أحبُّ عقلها جدا؟ فإذا سألتُ؛ بدت لي همتكِ، فأحببتها أكثر! فأقول: أحبُّ همتها أكثر؛ فتبدو لي مسئوليتك؛ لأحبها أكثر؛ فتبرز لي تطلعاتك وأهدافك؛ لأحبها أكثر وأكثر! أحار كثيرا، وأقف غارقا بين أربعة

شواطئ، أُلاحق نفسي بين الوصول لأيها؛ فتبدين لي جامعةً لكل هذا؛ لأحبكِ أكثر وأكثر وأكثر! وعند ظهورك - صدقيني - أدرك أني أحبك دون سبب، وأهواك - كما غنت فيروز - بدون أمل!

أحب فيكِ كلَّ ما لا يُنال بشهوة، ولا ينطفئ بلقاء!

رفيقةَ قلبي وروحي، لا يمكن لأداة نداء أن تحلَّ في كلامي لك؛ فأنتِ مني أقرب لي من نفسي ويدي؛ لذا لن أناديكِ!

كل عامٍ أنتِ فيه - لي - كل شيء، وأنتِ فيه - لي - كل الحياة ...

بتاريخ 31 / 12 / 2017

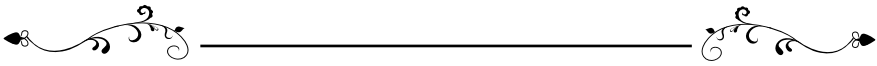

نحن ظالمون!

عندما نقف بمحاذاةِ أنفسنا مُوهِمين إياها أن الجميع معنا – بوجوده ـ فذلك لعَمري خديعةُ الزمان، ومصيبةُ الوجدان؛ فحينَ تطلع الشمس بغيابه عنا ـ يستحيل ضؤوها ظلاما، وعدلها ظلما، ومنحها منعا، عالما بلا بشر، وحياة بلا موت! نستشعر سِياطا تجلدنا بلا رحمة، نعم إنها السياطُ لا غيرها؛ سئِم البشر جَلدنا، فأرادتْ مزاولةَ دورَي الآمرِ والمُنفِذ!

أيتها النفوسُ الظافرة بمرارة آلامنا وغصةِ أوجاعنا، ابتعدوا أكثر، دعونا نظلم أنفسنا أكثر وأكثر، دعونا نروي أزهاَر بساتينكم بدماء قلوبنا – التي أنكرت الجميع عَداكم – دعونا نُسْعِد أجفاننا بالبكاء عليكم؛ فأنتم أصدقُ البشر لها - في بُعدكم – دائما ما تمرون عليها، وفي كل مرة تُحييكم تحيةً أوجع!

ونحن ظالمون لأنفسنا بمعرفتكم ..

بتاريخ 28 / 5 / 2018

وللحروفِ فزعٌ وألمٌ!

ثم إن جانبًا من الألمِ يُخرسك لدرجة أنك لا تشعر بشيء معه، تتوقف حواسك عن الحركة؛ فهي تعيش في عالم آخر، الأنينُ أقل بناياته ارتفاعا!

تحاولُ بكل ما أُوتيت من جَلَدٍ خلعَ نفسك منه، وانتشالها من أهوالِ مشاعره اللامعقولة، ولكن أنَّى لك؟! فمحاولات خلعِك منه بأثرٍ مُضاد، فتلك القوى التي تضع فيها أملك بإبعادكَ، هي نفسها التي تُعَمّقك بداخله أكثر! الملاذُ الوحيد لك هو جدارُ الصمت، تتخفى خلفه رغم لَبِناته مِنْ أنياب الأغوال وطلائه بالشوك! كل هذه الآلام تُغرَس فيك كأنها ما سُخرت في العالم لسواك!

تهيم على وجهك أخرسَ لا تملك إلا معاودةَ مشاهدِ ألمك، وتتساءل:

أي ألمٍ في هذا الكون أقوى من أن ترى الموت بعينيك يحرق إنسانا من لحمك ودمك؟ يبالغُ في إحراقه؛ حتى ينتشر في جسده كاملا،

يحاول الهروب منه مع أنه يدري أن ناره أغرقته من جميع أركانه! الموت هنا ليس حيوانا كاسرا أَنشب أظفاره كما صوّره أبو ذؤيب الهذلي – في قوله : وإذا المنية أنشبت أظفارها – فلو كان كذلك لكان أرحمَ، فما الألمُ معه إلا لحظة النشب وموضعه فقط، بل هو ريح من نار لفحتْ .. فغمرتْ .. وما أبقتْ!

ما أقسى أن يُصاحبك الموت بسكراته وأنتَ في قوتك، تحاول الهرب منه ولا مناص! يُجازيك على قوتك في مقاومته تشهيرا بفعاله فيك؛ فيجعل موقعتَه بك مشهدا يتوقف أمامه الكثير!

سعداءُ هم أولئك الذين يعانون سكرات الموت على فُرُشهم وهم ضعفاء، لا يقوون على دفعه، يستسلمون لكل أفعاله فيفعل بهم ما يشاء بينه وبينهم ..

يفرض علينا الموت أن يكون ظلا يلازمنا، يتيح لنا التقدم عليه دائما، حتى إذا ما تقدم علينا مرة، فلا يمكننا حينها عتابه ولا مُراجعتَه فيما قرر وأراد.

يفرض علينا الموت أن نبكي في عُزلةٍ على هؤلاء الذين رحلوا بالأمس، وأن نتبتل في جوف الليل ألما عليهم، ودعاؤنا الوحيد أن يستبدل المولى – سبحانه – بألم نهايتهم نعيما عنده مقيما..

يفرض علينا الموت أن تبقى حروفنا بداخلنا فزعة متألمة، لا يمكنها أبدا الخروج إلا بضريبةِ البكاء والحسرة، فسلاما على أرواح شهداء حريق محطة مصر " رمسيس "

بتاريخ 28 / 2 / 2019

يَندبُ نفسَه !

كزهرٍعجيب برائحةٍ مزدوجة لا تتكرر، خرج من حقل العَوسج (الشوك) يترنح، يشد أزرَه محاسنُ خلق الله فيه، ويهدم من روحانيته اقترابُ الشوك من قلبه، هو بين حقيقتين لا يعرف إلى أيهما تنتهي رحلته: أإلى الأرواح سيسري عطره؟! أم إلى الأجساد سَيُدْمِي شوكُه؟!

كان الحق منه منبعا يفيض على البشرية سلامَها، ويحتل في أماكن النفوس عظمة، منحته الحياةُ سره في مقتبل عمره، وفي ذاك الوقت كانت تُربي له أنيابَ شوكِه، فكان كليهما في نفس الوقت، وبعذاب عدم الاهتداء ..

لا يعرف في أي طريق يسلك، وروحه تلك الجَموح لم تشعره يوما بطمأنينة داخلها، هي عذابٌ دائم يَصلي داخله، كلما حاول يوما تطبيب عالمه بالرضا، لا يلبث ساعةً من سكينة إلا وانقلب داخله عليه جهنم؛ لذاك كان يتساءل :" أيمكن أن يُعَجّلَ الرحمنُ الرحيمُ بعذابنا في الدنيا؛ كي لا يكبر في نفوسنا عذاب الآخرة؟!

أيا نفسيَ الضالة الشاردة، هل ستكونين كذلك في زخم الصاعقة؟!

يجلدها بسؤالات لا تبرح إلا فاتكةً بكل نقطةٍ بيضاء أتت بقلبه سهوا؛ حتى أصبح / أمسى / بات / صار لا يَعْرِفُ من حديثِ نفسِه إلا مُلاعنتها والتبرم من حقيقتها ..

آه من نفسٍ (لا تؤمن)

واخسراه على قلبٍ (مُظلم)

إلى الميْت داخله الذي يأبى أن يعلن للبشر موته؛ حتى لا يُهزم وحيدا مُشيعا على الأكتاف، يريد أن يبقى هكذا يسقط عندما تسقط الحياة، فلا يُشيِّع أحدٌ أحدا - إلى هذا الشقي بداخله (كان يندب كلماته؛ علها تُهدئ اللوعة)

بتاريخ 8 / 1 / 2017

وماذا عن القلب؟!

مُضغةٌ حمراءُ بصدورنا مسئولةٌ عن كل شيء، تُحاكمنا حين نخالفها، تدفعنا للمجهول ولا نستطيع أن نُساءلَها، تَوقها دائما للجديد الذي في عُرفها (الأجمل) نركض خلفها إلى ضبابِه الذي فيه هلاكنا، ولا نقدر حينها أن نخالفها، فكم من دروبٍ سلكناها معها! لاقينا من بدايتها كل الألم وما تركناها، وفي نهايتها ابيضّت أعيننا بؤسا، وتجلطت أعضاؤنا خيبةً، وسمعنا حاسةً لأصواتِ الألم، كل هذا وهي لا تَعتبر، المضغةُ متأكدة من أننا بُلهاءُ، سننسى كل شيء بمجرد نقطةِ دمٍ جديدة تسري في ساحتها؛ فتُوهمنا أنها النجاة والجائزة؛ حتى لا نخالفها السير في سراديب الدروب!

نحيا حيارى بسبب دَقةٍ لها، نتوهم أنها الصادقة، وأن الحب كل الحب في توقيتها، ولأجل شخصِها، نسيرُ ونسير، تُوهمنا أننا نتغير، وأنَّ الحياة غير الحياة؛ لنكتشف – في النهاية - أننا بدون أطراف بدون أقدام، كل ما فعلناه أننا ندور حول جسدنا المُتعفن؛ حتى لا نتأذى من نتانة الرائحة.

لَكَم هي قاسية تلك الحياة التي لم تجعلنا جمادات لا تشعر، تؤدي وظيفتها في الحياة مُسَخّرَة لغيرها، ولقلوب الناس لا تنظر!

نحن أُسارى قلوبٍ لا ترحم ..

ونفوسٍ مجنونة لا تتدبر ..

لذاك علينا الحياة بدون قلب؛ فلربما نَسْلَم ..

ماذا عن القلب؟!

سؤال يكفي للصمت ..

بتاريخ 4 / 8 / 2017

هل في الحياة ما يستحق الحياة؟!

سؤالٌ يُواجه به المرءُ مِرآةَ نفسِه في حالةِ اليأسِ من الحياة والقنوطِ من العيش، يُلجمها به؛ حتى يُصَرّحَ لداخله بمشروعية التوقف والرغبة في الذهاب!

لن أجيب عن السؤال من منظورٍ شرعي، بل سأُنحِّيه جانبا الآن.

الإنسانُ في حقيقة تكوينه كائنٌ طامح للخلود، مجنونٌ بداء الديمومة، خلقه الله – تعالى – بقدرةٍ قادرةٍ على السيادة والتملك وتسيير الأمور؛ لذاك حرصه على الحياة أشد من حرصه على أي شيءٍ آخر يملكه، فلو أن إنسانا يمتلك خزائن الأرض ثم خُيِّر بين خزائنه جميعا ويوم واحد يُمَدّ له في حياته – لاختار الحياة على الخزائن، ومبررُه رؤية الحياة من غير مال، ولو خُيِّر آخر – وكان البشر جميعهم من نسله – بين حياته وحياتهم لاختار حياته دونهم، ومبررُه رؤية الحياة من غير بشر! إذاً الحياة هي مطلب داخلي نحن مفطورون عليه؛ فالحياة هي تلك الإجابة لما تستحقه الحياة ! ورغم ذلك فهناك الكثير مما يستحق لأجله أن نحيا.

هناك سعادة تنتظرك، يحترق لأجلها غيركَ؛ لتسعدَ أنتَ ومَن حولك، هذه السعادة تستحق منك الحياة !

هناك سلام يحل على جارك، لو عاش غيرُك بجواره لَتحوَّل سلامه حربا؛ فسلامٌ أنتَ تجلبه لغيرك يستحق منك الحياة!

هناك بسمةٌ أنت صانعُها، وبها تتحولُ حياةُ إنسانٍ للأفضل، هذه البسمةُ تستحق أن تعيشَ لصُنعها!

هناكَ حياةٌ كاملة تحيا بتصرفٍ منك - ربما لا تقصده - تستحق منك الحياة لأجلها!

هناك وردةٌ تسقيها يوما، تكبر؛ لتكون نهايةَ حزنٍ لبائس، تستحق هذه الوردة منك أن تعيش لسقيها!

هناك عَارٍ على أرصفة الإهمال، ينتظر مرورك يوما؛ حتى تمنحه مِعطفكَ؛ ليبصرَ الكونَ عادلا بعد أن رآه ظالما، هذا العطاء يستحق منك الحياة!

هناك دمعةٌ – على وَجنةِ أمٍ ثكلى، وزوجةٍ حزنى، وشيخٍ مُسن، وطفلٍ غريب – تنتظر منك أن تجففها؛ لتعرف أن عيشك في الحياة بقيمة؛ لتعرف أن هناك ما يستحق الحياة !

هناك دورٌ ينتظرك؛ فابحث عنه؛ حتى تؤمن أنه يُوجد ما يستحق الحياة!

بتاريخ 24 / 4 / 2017

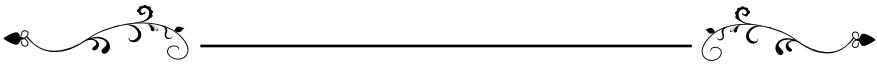

الفهرس

حُلم معشوق! 9
أسئلة في طَور التكوين ! 11
أكان ما بيننا حبًا ؟! 13
اعتذارٌ إليكَ ! 16
إلى أم ! 18
أنثى من رحمِ التاريخ! 20
بقاءُ الحبِّ 22
سلامٌ بقدر الحب والحَيْرَة ! 24
الحبُّ والحزنُ ! 27
حواء 29
ذكاءُ المرأة ! 31
ثم إني لا أعرف إلا أن أُحبك !! 34
إذا فقدتك 37
أعتقدُ !! 38
شِقاقُ النفوس 40
حين أكون بقلبكِ ظالمًا !! 43
حروفٌ ضائعة 45
أُنثى عرفتُها بعدَكِ! 46
بلسان زينب 48
حبُّكِ فلسفتي ! 50
زواجُ القلوبِ ! 52

صديقي والحب 54
" عن مثلها فابحث "..... 56
لم تكن امرأةً ! 58
عن الحب ! 60
لعل لقاءً تائها يكونُ ! 62
الجامع الأزهر 64
سُوريا 66
رمادُ الحب !..... 69
صوتٌ نافذ 71
ضميرُنا الضالُّ!! 74
طمأنينةٌ مفقودة 77
علينا..... 79
حين نُحْتَضَر!..... 81
في رحاب العودة 83
كل الحب ! 85
كيف حالكِ ؟! 86
وللأماكن أرواحٌ 88
للراحلين البقاء 90
معايدةُ رأسِ العام 91
نحن ظالمون!!..... 93
وللحروفِ فزعٌ وألمٌ !..... 94
يَندبُ نفسَه ! 97
وماذا عن القلب ؟! 99
هل في الحياة ما يستحق الحياة ؟! 101